

اسطنبول ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

إسطنبول: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م
اسم الكتاب باللغة التركية: HUZURLU AILE YUVASI
الترجمة للعربية: وجيه محمود عبد المجيد
مراجعةو تصحيح وتدقيق: أرسين إشجي أوغلو
تصميم وتنضيد: حسام يوسف
ISBN: ٩٧٨٩٩٤٤٨٣٦٣٨٨
Language : Arabic

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

العنوان:



▸ Adres: Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone: +90 212 671 07 00
(Pbx) Faks : +90 212 671 07 17
E-mail: info@islamicpublishing.net
Web site : http://www.islamicpublishing.net

الأسرة السعيدة

جنة الدنيا

عثمان نوري طوباش

دار الأرقم

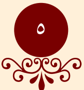
مُقَدِّمَة

الحمد والثناء الدائمين لله ﷻ الذي خلق الإنسان من ذكر وأنثى، وفتح لنا أبواب العشق والمحبة تجاه ذاته العليا بوسيلة المحبة التي هي مصدر السعادة الأبدية فيما بينهما!

وصلاةً وسلاماً بلا نهاية على مرشدنا العظيم سيدنا محمد ﷺ النموذج الأكمل والأمثل لحياة أسرة هادئة ستُحضر قلوبنا على عتبة العشق والمحبة الإلهية!

مما لا شك فيه قط، أن المحبة موجودة في خلقةِ جميع الكائنات. حيث كان الله ﷻ «كنزاً مخفياً» قبل خلق هذه العوالم. وأحب أن يُعرف فخلق جميع المخلوقات بهذه المحبة.

ومن أجل هذا السبب صارت المحبة الإلهية جوهر جميع أنواع المحبة، ففي الحقيقة قد تفضل الحق تبارك



وتعالى بالإحسان بجميع أنواع الحب والمودة الأخرى التي وهبها لعباده كوسيله ممهّدة ومعدة أيضاً لمحبته هو ذاته. وأنعم بالمحبة والترابط الموجود فيما بين الرجل والمرأة أيضاً بصفتها الخطوة الأكثر قيمة والتي يمكن أن ترقى إلى ذروة المحبة له.

ومن أجل هذه المحبة والترابط جعل بيوت الأسر التي ستُؤسَّس بعقد النكاح باسمه العظيم ذاته أيضاً هي مكان تجلي هذه المحبة الأكثر مغزى وبركة.

ومن هذا المنطلق فإن عشّ الأسرة صار خطوة لا يُعدل عنه إلى محبة الله ﷻ أيضاً، وجُعل قانوناً إلهياً من أجل استمرار الأجيال أيضاً. أي أن بيئة الأسرة شكّلت الأرض الأولى والأساسية للاحتياج البدني والارتقاء الروحي.

ولهذا السبب صار الزواج في نظر الإسلام هو الأصل في كل زمان، ورغَّب فيه إلى أقصى درجة، والحقيقة أن عكس هذا متنافٍ مع فطرة الإنسان. لأن الزواج هو سنة سنية وضرورة يجب على الإنسان عدم العزوف عنها- باستثناء الأعذار اللائقة-.



ومع ذلك، وبالأخذ في الاعتبار أن تأسيس عش الأسرة مهمٌّ بهذا القدر؛ يوجد نقاط دقيقة ومسائل مهمة كثيرة جداً يلزم مراعاتها من أجل تحقيق المقاصد المطلوبة من الزواج وتحويل جو البيت إلى جنة من الهدوء.

ماذا يجب القيام به من أجل إمكانية إقامة حياة أسرية تصبح خطوة إلى المحبة الإلهية؟ وما الذي يجب أن ننتبه إليه لكي يمكن أن تصبح بيوتنا جنة من الهدوء والسعادة؟ وكيف يجب أن نعيش لكي تنتهي رحلة حياتنا بلمّ الشمل الأبدي لجميع أفراد الأسرة؟

وكيف ينبغي ضمان استمرار السعادة التي سيتم تحقيقها في الدنيا في حياة الآخرة أيضاً؟!.

وها هو الأمر كله مخفيٌّ في الإجابات على هذه الأسئلة. وربما لا يمكن تحديد هذه الإجابات لكل شخص بصورة صحيحة بسبب الظروف غير المواتية للزمان والمكان الذي نعيش فيه. ومن أجل هذا، قد نظَّم الإسلام بدقة وبأجمل طريقة البشر وحياة الأسرة والوسائل والأصول والقواعد والمعايير التي ستؤدي

إلى الأهداف والمقاصد والنتائج المرغوبة. وعلاوة على هذا بيَّن أيضاً النتائج الخطيرة والسيئة التي ستظهر في حالة عدم مراعاة هذا النظام.

ومن أجل إمكانية الوصول إلى نجاح مثالي في هذا الصدد أي إلى عُش أسرة هادئ، أنعمَ الحقّ سبحانه وتعالى علينا أيضاً بأجمل وأكمل الأمثلة، ألا وهو سلطان القلوب حضرة المصطفي سيدنا محمد ﷺ. فقد عاش خاتم المرسلين الذي لم توجد أدنى سلبية في أي مرحلة من حياته قط، هذا الإتساق العظيم أيضاً في عُش الأسرة الذي أسسه. ومن أجل إقامة أسرة طيبة من منطلق وجهة النظر هذه ينبغي علينا الوقوف على حياته العائلية الشريفة المليئة بالطيبات الفريدة وأن نتخذها مثالاً يُحتذى.

وعلى النقيض من هذا سيتدحرج المجتمع الذي نعيش فيه داخل بؤرٍ من الأزمات المتزايدة في شكل يفتقد إلى الأعشاش الدافئة المليئة بالهدوء والبركة.

ونحن جميعاً نشهد أن كثيراً من شبابنا الذي لم يستطع تأسيس عُش أسرة سليم ومتوازن، تسْوَد حياتهم



هم أنفسهم وحياة أطفالهم أيضاً بالطلاق غير المبرر. والأخطر من ذلك أن كثيراً من الغافلين يعزفون عن الزواج وفي هذا الصدد يصبحون تُعساء في دوامات الخطيئة والحرام.

وهذا الكتاب الذي بين أيديكم والذي أعددناه من أجل تلك الأسباب وما شابهها، سيصبح إن شاء الله المرهم الشافي لجراح الأسرة الموجودة في مجتمعنا مثلَ غيرِه من الكتب في هذا المجال.

وبهذه الرغبة والنية أعددنا الكتاب في سبعةِ فصول منفصلة تحت العناوين التالية:

١. النكاح والأسرة في الإسلام.
٢. الأمور التي ينبغي على النساء مراعاتها في الأسرة.
٣. الأمور التي ينبغي على الرجال مراعاتها في الأسرة.
٤. الأمور التي ينبغي على الرجل والمرأة مراعاتها معاً في الأسرة.
٥. حول تربية الطفل.
٦. مكانة المرأة في الإسلام وتعليم البنات.
٧. نماذج من حياة الأسرة والمجتمع عند العثمانيين.



وقد صدر هذا الكتاب على وجه العموم من الريبورتاجات (اللقاءات الصحفية) التي نُشرت في مجلة « شبنم» (الندى)، إلا أنه صارت هناك أيضاً إضافات وتوسعات جديدة.[1]

وتحتل مكاناً في هذا الكتاب وبصورة موجزة المعلومات الضرورية من أجل أسرة هادئة ستقوم على معايير إسلامية. وقد شُرحت القواعد والمبادئ الضرورية من أجل تحقيق المقاصد السامية من الزواج وقد اُقتبست أيضاً الأمثلة التوضيحية الضرورية المتعلقة بهذا. كما وضُربت نماذج من حياة كبار رجال الإسلام وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ على وجه الخصوص. وبالتالي أُخذ بعين الاعتبار وعلى كل حال هدف تحقيق رؤيةٍ أوضحْ وصفاءِ فهمٍ لقرائننا الكرام.

ونتمنى ونرجو من الله ﷻ أن يكون هذا الكتاب المتواضع مفيداً لشبابنا الذين أسسوا عُش أسرة وعلى وجه الخصوص الذين سيؤسسوا عُش أسرة لاحقاً.

---

١ ليجعل الحق ﷻ من جهود « د. فاروق دميرإشيك» من طلابنا الكرام الذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب و« محمد. علي أشملي» الذي ساعد في تصحيحه وتوسيعه صدقة جارية لهما!



اللهم يا ربنا أنعم علينا جميعاً بالقدرة على إنشاء وإعاشة عائلاتنا بقوة وقدرة لن تتزعزع في تلك اللحظات التي هُدمت فيها بيوت الأسر في جميع العالم بزلازل الفجور والإهمال والكراهية! واجعل بيوتنا جنة من المودة والهدوء والسعادة! وافتح لهذه الجنة أيضاً باباً للآخرة إلى الجنة الأبدية التي يتجلّى فيها الوصال بجمال الله ﷻ! آمين...

عثمان نوري طوباش

١٤٣٥/ ٢٠١٤

أسكدار–اسطنبول



النكاح والأسرة

في الإسلام



النكاح نهج الأنبياء، وسنة رسول الله ﷺ، وربيع الأجيال، وقلعة الشرف والأدب والعفاف والعفة للرجل والمرأة، وامتاز به الإنسان عن المخلوقات الأخرى.

يا سيدي! يتم إقامة العديد من المناقشات المتعلقة بالزواج في يومنا الحاضر. وفي بادئ الأمر هل البشر مضطرون إلى تأسيس أسرة والعيش في شكل جماعي؟ هل ينفع إذا واصلوا حياتهم بمفردهم؟

إن الوحدانية والتفرّد وقفٌ على الله سبحانه وتعالى. لأنه هو الخالق العظيم، جعل كونه واحداً وفرداً كيفية خاصة به فحسب، وبهذا الاعتبار قد خلق جميع المخلوقات أزواجاً. ومن أجل أن جميع المخلوقات في حاجة إلى بعضها البعض من جهة خصائص الازدواج هذه. وفي نفس الوقت من ناحية كونهم مخلوقين هم أيضاً في خضمّ نقصانٍ وعجزٍ طبقاً لبنياتهم. أي أن جميع المخلوقات التي خلقها الله تعالى والتي تُسمى "**ما سوى الله**"، محتاجة حتى الأبد إلى بعضها البعض



من خلال ألف احتياج واحتياج مختلفٍ، ومحتاجة إلى الحق تبارك وتعالى الذي خلق كل شيءٍ من العدم أيضاً.

و يأتي "**الإنسان**" على وجه الخصوص فيما بين هؤلاء المخلوقات في المقام الأول تقريباً من ناحية كونه محتاجاً للآخر. لأن احتياجات ورغبات الإنسان أكثر من ذلك بكثير بالمقارنة مع غيره من المخلوقات. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الاحتياجات تزداد باستمرار ولا تنتهي عند نوع ما. لأن الإنسان يريد أن يعيش بشكل دائم في راحة مادية ومعنوية. فالمشقة والفقر والبؤس والمعاناة والكوارث تثقُل عليه. وفي هذه اللحظات على وجه الخصوص يبحث عن يد يمسك بها وقلب يلجأ إليه.

وباعتبار هذا فإن ابن آدم قد سُمي بكلمة "**إنسان**" المشتقة من كلمات "**الأنس**" أو "**المؤانسة**" أي "**الألفة**" و"**الصحبة**". وإلى جانب ذلك يُظهِر أن لديه احتياجٌ لمصاحبة الكائنات الأخرى، وعلى وجه الخصوص الذين هم من بني جنسه. وهذا الاحتياج هو السمة الأولى للإنسان، ويُعرف الإنسان بهذه السمة عادةً.



والحالة التي تُظهر هذه الحقيقة في أبرز شكل هى وجود المرأة والرجل معاً. وهذا الأمر هو ضرورةٌ، بل شرط لابدّ منه من أجل ضمان استمرار النسل.

ومن أجل ذلك فقد تجلّت هذه الضرورة في الكائنات الحية الأخرى في صورة الذكر والأنثى، أما في التركيبات الكيميائية فيتجلى في شكل الموجب والسالب. وبالفعل تمّ تناول هذا الموضوع في كثيرٍ من الآيات الكريمة في القرآن الكريم:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات، ٤٩)

﴿سُبْحَانَ الّذيْ خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلّهَا ممّا تُنْبِتُ الأَرْضُ ومِنْ أَنْفُسِهِمْ وَممَّا لَا يَعْلَمُوْن﴾ (يس، ٣٦)

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾ (النبأ، ٨)

إن كيفية خلق الزوجين المذكورة في هذه الآيات الكريمة هي خلق كل شيء في صورة "**ذكر وأنثى**" أو "**سالب وموجب**" أيضاً على النحو المذكور أعلاه، وليس في شكل اثنين من نفس الكيان. وإلا لكان خلق أي منهما لا طائل منه ولا جدوى لمثل هذا الخلق، ولكان يتناقض مع الصفة العليا للحق سبحانه وتعالى



والتي هي في معنى "**المتعال**" أي "**صاحب جميع صفات الكمال**". وباختصار فقد خلقهما أزواجاً، ولكن لم يخلقهما توأماً قط يشبه بعضهم البعض الآخر في كل شيء. حتى أن توائمهم في البيضة الواحدة ثمة فيهم جوانب كثيرة مختلفة عن بعضهم البعض في عوالمهم الداخلية وحتى في أطراف أصابعهم وعيونهم.

ومحصلة القول أن الله ﷻ خلق المخلوقات أزواجاً، ووضع قانون الجذب والتجاذب من أجل إيجاد تقارب فيما بينهم ومع بعضهم البعض أيضاً. وهكذا فقد ربط الكمال المادي والمعنوي لديهم باجتماعهم مع بعضهم البعض.

إن احتياج رجلٍ لإمرأةٍ وامرأة لرجل أيضاً هو من أجل استمرار النسل باعتباره جوهر هذه الحقيقة. إلا أن هذا ليس الغاية الفريدة فحسب. لأن بنية أسرة سليمة التأسيس، والهدوء والاستقرار والانسجام الروحي والاجتماعي للأفراد هو غاية وهدف مهم إلى أقصى درجة يحتاج إليه الإنسان أيضاً. إلا أنه يمكن الوصول إلى الذروة المطلوبة في تحقيق هذا الهدوء والاستقرار والانسجام الروحي عن طريق "**محبة الله**". أي بتوجه



القلب بالعشق نحو الحق سبحانه وتعالى... وهذه هي رحلةٌ مِن ليلى صوب المولى...

أي أن ليلى هي شرط -إن جاز التعبير- من أجل هذه الرحلة. لأن المحبة فيما بين الرجل والمرأة تُشكّل المرحلة الأولى لإمكانية الاقتراب من الحق سبحانه وتعالى بمحبة الله. لأن المحبة حتى ولو بدأت بالرغبات الأنانية لا تَرْقَى إلى حال " العشق " ما لم تتجاوز ذلك. فالعشق هو اسم اجتذاب التجليات الإلهية التي على المتحابين لبعضهم البعض.

وتقوم القلوب التي هي مركز قوة هذا الانجذاب بتدريبات (تمرينات) الحب عادةً بواسطة الأزواج المرتبطين ببعضهم البعض بالمحبة وهكذا تصبح جاهزة لمحبة الله، وتكتسب قوام القدرة على حب الله. وتنضج هذه القدرة أكثر كذلك بالأبناء الذين هم الثمرة الطبيعية للأسرة، وترجع إلى الكفاءة.

وبهذه الكفاءة من الضروري تحقيق الزواج امتثالاً للأوامر الإلهية من أجل تطويق القلوب بمحبة الله. وأي زواج يتحقق بالرغبات والنزوات والميول العقلية



والأنانية فقط -في أغلب الأمر- لا يحصل منه ثمرة المحبة. ولهذا السبب لا يتحقق النضج الروحي وتدريب المحبة بالقلب المتوقّع من الزواج في البيوت التي أُسست هكذا. أي أن القلوب لا تستطيع الاستفادة بالقدرة. لأن الناس في زيجاتٍ هكذا يصبحون عبيداً للشهوات الأنانية على وجه العموم. وبصرف النظر عن التقدم في المعنوية (قسوة القلب) تتوتر كذلك أيضاً عوالم القلوب وتصبح جدباء قاحلة، وربما تصل إلى الانحطاط الأخلاقي.

إن الزيجات التي هي وسيلة للنضوج والارتقاء الروحي أي إكمال نصف الدين تبيّن المستوى المثالي الذي ينبغي الوصول إليه. وكيف أنه إذا لم يمكن تحقيق أي شيء على الإطلاق، فلا يتمّ التخلي عن الطرف الذي سيمكن تحقيقه أيضاً، وبنفس الطريقة لا ينبغي التخلف عن توفير هذه الصفات المثالية بما يتناسب مع قدرة كل شخص. غير أنه بفضل هذا يمكن الوصول إلى الهدوء والسكينة والنضج المتوقع بواسطة الزواج.

ومع هذا فلقد قلنا قبل قليل أن الارتباط الموجود فيما بين الرجل والمرأة هو ليس السبب الوحيد والفريد في



فوز الإنسان بالقدرة والجدارة على محبة الله ﷻ. ولو كان الأمر هكذا لكان العزَّاب لم يستطيعوا تحقيق نتيجة قط من ناحية النضوج والإرتقاء الروحي، ولمكثوا في مكانهم. في حين أنه يوجد أناس صالحين وصالحات كُثر فيما بين هؤلاء مثل السيدة مريم[1] وسيدنا عيسى عليهما السلام اللذان أثنى عليهما القرآن الكريم.

---

١ قد مر ذكر اسم السيدة مريم أربعة وثلاثين مرة في القرآن الكريم بالإضافة إلى ثلاث وعشرين مرة أيضًا في شكل عيسى بن مريم. وعلاوة على هذا قد تم تسمية السورة التاسعة عشر من القرآن الكريم باسم «سورة مريم». والسيدة مريم هي المرأة الوحيدة التي ذُكرت باسمها في القرآن الكريم. ويلفت المفسرين النظر إلى بعض الأسباب في هذا الأمر. وبعض من هذه الأسباب هي كالآتي:

- قد رُفعت صورة المرأة التي أُحتقرت في تلك الفترة في شخص والدتنا مريم.
- ذكر نبي من أولي العزم من خلال نسبه إلى الأم، هو إشارة إلى عظمة شرف الأمومة.
- قد تم التأكيد على مدى أهمية حفظ العفة وأنها بمثابة فرضٍ من خلال لفت الانتباه إلى عفّة والدتنا السيدة مريم على وجه الخصوص.
- قد تم التصريح بأبرز الخصائص لسيدةٍ صالحة في شخصية السيدة مريم، وقد تم البيان لكل امرأة في صورة إشعار (تبليغ) أن خصائص مثل العفة والوقار والصبر والتوكل والتسليم والثبات رُفعت في مستوى الحق.



ويبين هذا الحال عدم انفراد رأس المال الموجود في بنية كل شخص وفقًا لخلقه، وكذلك عدم اتحاد الظروف الخارجية التي أثرت عليه. أي أنه في إطار برنامج القدر الإلهي تمّ تقدير الربح في ظروف الدنيا بصفتها امتحان كبير، وطريق القسمة والنصيب مغلقٌ من أجل بعضهم، وبعض الأحوال والمستحيلات المانعة للزواج من أجل بعضهم الآخر أيضًا. وقد صار الزواج من أجل بعضهم الآخر خيبة وألماً كبيرين أيضًا. وهكذا يمنُّ الحق سبحانه وتعالى ببعض القدرات على عباده إذا ما صبروا وبمساعدة هذه القدرات يتم توفير المنافع التي ينبغي تحقيقها بالزواج أيضًا وربما بزيادة أكثر.

وبناءًا على هذا وعلى الرغم من أن بعضهم قد صار أعزبًا فقد أكمل بالمحبة المفرطة التي أظهرها للحيوانات والنباتات مدرسة هذا النضوج والارتقاء الروحي، وقد اجتاز بعضهم أيضًا شيئًا فشيئًا درجات السمو مُظْهِرِين الصبر والتحمل تجاه المصائب والابتلاءات والأحزان والأزمات. فعلى سبيل المثال قد بلغ أيضًا أصحاب الصُفّة الذين لم يكن في مقدورهم الزواج في فترة عصر السعادة قمة النضوج بخدمة العلم والتراث.



ومن الطبيعي أن جميع هذه الظروف هي أحوال خاصة واستثنائية. إن الحقيقة العامة والمشروطة هي تأسيس الإنسان عُش أسرة دافئٍ لنفسه من خلال إقامة زواج بعقد نكاح على وجه التأكيد.

وهناك حقيقة هي أن القلب الذي لم يعكس المحبة والحب هو مثل أرض بور أي تُركت خالية زمناً طويلاً دون أن يتم زرعها وغرسها. وأن العلاقة والصلة التي فيما بين الرجل والمرأة ستَزرع هذه الأرض.

ومن الطبيعي أن هذا يجب أن يحدث من خلال تفادي الرغبات الأنانية وليس بها. أي أن اتجاه هذه العلاقة في اضطرارٍ لِأَنْ تعود إلى العشق الإلهي. لأن المحبة التي فيما بين الرجل والمرأة ترقى إلى محبة الله ولكن في اللحظة التي تعود فيها القلوب إلى الخاصية الإلهية. وإن يُقدَّر ولدٌ في قوامٍ هكذا، تتشكل المرحلة الثانية لهذا القلب في طريق محبة الله ﷻ أيضاً.

وباختصارٍ فإن الأسرة التي هي اسم ديني واجتماعي لمصاحبة الرجل والمرأة لبعضهما البعض هي حقيقة وضرورة موضوعة لخلقنا من أجل تحقيق غايةٍ عليا



هكذا. وكلما تحققت هذه الغاية تكبر شجرة الأسرة وتعطي غصناً. وتعطي الثمارَ الجميلة واللذيذة. وأيضاً من بعض هذه الثمار المرغوبة في المجتمع الهدوء والاستقرار والنظام والتنظيم الاجتماعي.

وبفضل هذا تَنْتُجُ بيئةُ أسرةٍ هادئةٍ على رأس أهم الأمور من أجل الوصول إلى المستوى المدني للمجتمع وامتلاء البيوت بالسرور والسعادة الإلهية.

ومن أجل هذا يتعهّد كلٌّ من الرجل والمرأة بعضهما البعض باسم الله بينما وهم يؤّسّسون الأسرة. وهذا العهد هو السعي والنية من أجل تحقيق محبته تجاه غايات خلقهم. ولا شبهة قط في أنّ الذي سيربي هذا السعي والنية هو الاحترام والثقة والإخلاص المتبادلين.

كيف ينظر الإسلام إلى الأسرة؟

إن الإسلام باعتبار الأمور التي ذكرناها والتي لا يمكن إغفالها يُسند أهميةً كبيرة جدًا إلى الأسرة. وطبقًا لهذا فإن الأسر هي بمثابة بذور المجتمع. وبناءً على هذا توجد حقيقة تاريخية وهي أنه في حين أن الأُسَر التي أُسست على أسس سليمة تحمي وتُجمِّل بنيةَ المجتمع،



فإن الأزواج الذين لم يكونوا متكافئين أي متعادلين مع بعضهم البعض من الناحية الروحية، والبيوت التي أُسست بعلاقات فاسدة أو بشكل خاطئ تهدم المجتمع.

ومن منطلق هذه الناحية فإن الإسلام يؤسس بنيةَ أسرةٍ سعيدة ومتوازنة مع الأخذ في الاعتبار معايير المحبة العدل التي وضعها. أي أنه يهدف مع الأسرة الهدوء والسعادة. كأنه قد قال:

"**جنّة المرء بيته...**".

وحقيقةً إن عُشاً مؤسساً بالمعايير الإلهية في إطار ظروف الدنيا هو حتمًا جنة. أما مفهوم وبنية رفيعة هكذا فمن أجل أنها قَطْعًا ستصبح ممكنة بمعايير رفيعة وأسس مشروعة على المحبة، يبدأ الإسلام أمراً مثل النكاح بـ "**تعهدٍ ووعدٍ سامي متبادل**".

أي يشترط على كلا الطرفين أن يتعهّدا بوضوح باسم الله لبعضهما البعض أمام الله ﷻ. إن قول"**المعجزة موجودة في النكاح**" بتعبير القدماء يُظهر أهمية النكاح في تأسيس أسرةٍ سعيدة وهادئة والفوائد التي حظي بها. لأن قيمة أعمالهم هي طبقًا لنواياهم.



ومن أجل أن العلاقات التي تتحقق بعيداً عن النكاح دون وضع نية سامية هكذا، وتقع عكس غاية خلق الإنسان، تصبح نتيجتها عبارة عن خسران وانهيار كاملين أيضًا. وهذا يكون هكذا سواءٌ من ناحية بنية الأسرة أو من ناحية الأمة. وبالإضافه إلى هذا تُحرم العلاقات خارج النكاح بصفتها مرفوضة دينياً وعقابها عند الحق شديد إلى أقصى حدّ وهي ذنب كبير وخطير جداً.

هل تستطيعون توضيح أمر النكاح بشكل أكثر قليلاً بناءً على أهميته؟

إن النكاح هو نهج الأنبياء، وسنة رسول الله ﷺ، وربيع النسل، وقلعة الشرف والأدب والعفاف والعفة للرجل والمرأة، وامتياز أي أفضلية سلالة الإنسان عن المخلوقات الأخرى.

وتحقيق النكاح بشاهدين من الرجال هو من أجل إشعار كل شخص بسبب كون ارتباط الرجل والمرأة عنصر أساسي في الانخراط الاجتماعي (المخالطة الاجتماعية). لأنه توجد ضرورة أيضاً في أن يكون ذلك الارتباط معروفاً من قِبَل الآخرين. إن إظهار أي نية



كانت ليس في حاجة إلى الشهود دائماً. إلا أن اشتراط الشهود في الزواج هو من أجل تحقيق إقرار موجه إلى كل المجتمع على عقد النكاح. لأنه من الممكن أن تحدث طلبات جديدة دائماً للبنت أو الرجل المعروفين بأنهما أعزبان. لكن بعد زواج مُعلن ومُشهَّر بعقد النكاح تنتهي حينئذٍ الطلبات المحتملة لتلك البنت والرجل، ويصبح وضع أساس عُش أسرة صحي مُلكاً للزوجين معاً فحسب. ومن أجل هذا أيضًا لا يُكتفى بشاهدين اثنين على ذلك، وإنما يُدعى جميع المجتمع شاهدًا على عقد النكاح من خلال إقامة حفل عرس. وبالتالي نشأت أحفال العُرس بقصد إعلان وإشعار كل شخص بعقد النكاح في نفس الوقت مع تقاسم سعادة تأسيس عُش هادئ.

وجملة القول أن النكاح بجميع مميزاته هو قانون إلهي أُمرنا به في سبيل حفظ البنية والكرامة السامية الموجودة في خلق الإنسان. وبالتالي فالنكاح طبقاً للإسلام هو أساس أسرة رائع ولا غنى عنه من أجل تنشئة النسل وتربية الأولاد وحماية الأسرة وحفظ كرامة الإنسانية.



والإسلام يعطي أهمية لهذا الأساس بحيث أنه يرفض تماماً العلاقات السيئة والفاسدة التي تتآمر عليه. وفي هذا الصدد وباستثناء النكاح يحظر جريمة "**الزنا**" التي هي من أسوء الرذائل بصفتها من أكبر الكبائر. لأن ذلك الوضع القبيح هو إعتداء جنوني ضد لطافة وجمال ومشروعية النكاح وأبشع جريمة مدمرة للنسل. فلا يمكن أن يكون هناك حمق وجهل لدرجة تغيير عالم من السعادة والهدوء مثل النكاح إلى قباحة الفاحشة.

ولا يمكن تخصيص شوارع أي أمة وبلاد فاضلة لمناظر الرزيلة. والميادين هي ليست أماكن تعج بالفجور وسوء الأخلاق.

ويجب ألا يُنسى أنه من أهم العناصر الأساسية التي تحافظ على أي أمة، هى البنية الدينية والأخلاقية. وإن أكثر الوسائل تأثيراً في تشكيل وحفظ هذه البنية الأخلاقية هي النكاح. ومن أجل هذا يأمر رسول الله ﷺ من خلال تحذير أمته من أجل عدم تصعيبه حيث يقول:

"**خير النكاح أيسره**".[2]

---

٢ أبو داود، النكاح، ٣٢/ ٢١١٧.



ولذلك فإن عبء النكاح أي مال المهر الذي يُشكّل ثقل وعبء إضافي، وحقّ اللبن، والإجبار على رؤية الوجه، والعادات التي تشبه ذلك هي من الإجراءات الباطلة تماماً، أي أن جميع هذه العادات هي من بقايا عصر الجاهلية.

والحق تبارك وتعالى يريد حياة عفيفة وهادئة لعبده. فالزواج هو أجمل شيءٍ يحافظ على العفة. وكما ينبغي زواج أولئك الذين يقدرون على الزواج في داخل المجتمع، فتزويج أولئك الذين لا يقدرون على الزواج هو واجبٌ إلهي منوطٌ بالمجتمع الإسلامي. ويُذكر ذلك في الآية الكريمة على النحو التالي:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور، ٣٢)

وفي الدولة العثمانية قد أُسست أوقافٌ خاصة من أجل هذه الخدمة الميمونة. لأن نظام وأخلاق المجتمع وثيقُ الصلة بحياة عفيفة وهادئة لأفراد المجتمع.



ويقول محي الدين بن عربي – قُدس سره – في أمر فضيلة الترغيب في النكاح وتقديم العون للمتزوجين ما يلي:

«أعظم صدقة جارية، هي أن تكون وسيلة للزواج. لأنه يوجد أجر أيضاً للذي صار سبباً في هذا الزواج عن كل الخير الذي يفعله الأشخاص الذين وُلدوا من نسل هؤلاء».

لأن حياة الأسرة التي بدأها سيدنا آدم عليه السلام في الجنة مع أمنا السيدة حواء، قد انتقلت إلى بني آدم بقانون الزواج الذي قدَّره الله سبحانه وتعالى، وقد صار في الدين الإسلامي إلى الأبد. وفي الحقيقة أن الدين الإسلامي قد صار كَطمأنينة تبعثها الجنة وسماءِ رحمةٍ لربيعٍ مستمرٍ على حياة الأسرة بالقواعد التي وضعها.

ومن أجل القدرة على الحصول على هذه السعادة، فمن الضروري عرض مشهد آدم وحواء معاً مع قانون النكاح والزواج، والانصهار مثلهم في طريق التقوى ومحبة الله، والقدرة على التحوّل إلى روحٍ واحدة وقلب واحد تقريباً.



وفي انصهار شخصين أجنبيين بالنكاح في شكل عجيب، يكون سرّ الدروس والحِكم الدقيقة التي ستُدهش العقلاء. إن ارتباط قلبَي الشاب والفتاة الأجنبيين اللذين انفصلا عن منبت الأم والأب ببعضهما البعض بالمودّة والرحمة التي جعلها الله فيما بينهما، وحتى حياتهما في إطار جاذبيةٍ ومودةٍ خالصتين أعظم مما ذاقاه في ظلّ عُش الأم والأب الذي غادراه، كم هو تجلٍّ لحكمة عليا. وكم هو درسٌ مقدس سيتمّ التفكر فيه طويلاً وبعمقٍ.

وقد جعل الحق تبارك وتعالى النكاح وسيلةً للبركة على أمة محمد ﷺ، وجعل الحياة الزوجية الموجودة في ظلّ الكتاب والسنة جنةً من السعادة في الدنيا.

إن دين الإسلام الذي أراد للإنسانية عيش حياة كريمة وشريفة قد أعطى أسمى قدر للمرأة وقد أشار إلى الأضرار التي ستنجم عن إهمالها. إن المرأة هي مثل قنديل بلوري من السعادة والهدوء معلّق بسقف أسرة. ويضيء المجتمع بفيضِ ونور النكاح. ويحمي عفة وشرف الأسرة. ويجب أَن يكون حاجز الصواعق للأسرة إن جاز التعبير ضدّ دوامات وانجرافات الذنوب.



وفي حالة العكس تصبح الأجيال ضائعة، ويصير الإنسان حُطامًا. أما ضياع النسل فيؤدي حتى إلى إلغاء وإبطال النسب (المصاهرة) وإلى انهيار هذا المجتمع في النهاية. وفي هذه الحالة تشتد الفتنة، وتنتهي المشاعر اللطيفة والرقيقة. وتطغى الرذائل والاضطرابات. وهذه أيضًا هي علامات الغروب وأجراس الخطر لأي مجتمع كان.

وسعادة النساء تكون ممكنة بحياتهم كسيداتٍ. ولو يتم توجيه المرأة إلى غير وظيفتها الأصلية ينضُبُ موقد الأسرة. إلا أن اشتراك المرأة في الحياة الخارجية يمكن أن يكون متاحًا من أجل أعمالٍ مناسبة لطبيعتها ولأسباب ضرورية. ويجب تقييم هذه الأسباب الضرورية أيضًا بشكلٍ موضوعي (مثالي).

أي يجب توضيحها طبقًا لمعايير احتياجات المجتمع، ويجب عدم تجاوز الحدود المعقولة والمشروعة. فإن الحدود المنتهَكة بمجموعةٍ من النزوات والأعذار الواهية، هي خداعٌ وغش لأنفسنا ليس إلا، وتَخرُج نتائجها بكل الخيبة. وبهذا الشكل قد ذهب وضاع كثيرٌ من بناتنا المحترمات في دوامةِ غفلة آخر الزمان. وإن



كثيرًا من العيون التي انخدعت ببريق الذهب الذي يكسو الرزيلة قد صارت عمياء عن الحقائق الإلهية، وقد قضت على سعادتها.

وينبغي أن يُدرك أن النساء في نظر الإسلام هنَّ إكسير الحياة الذي يُشع ضوءاً يتلألأ ويتلألأ في داخل مصباح النكاح البلوري. وإن هوية وعظمة المرأة الأخلاقية والاجتماعية والقومية هي فقط من خلال حياتها في داخل روحانية النكاح. وإن المرأة لتدخل في دنيا جديدة جداً في ظل العش الذي أُسس بالنكاح.

وفي خلال ذلك ربما تبدأ حياةٌ مع سيدٍ مجهول تماماً، ولم تعرفه من قبل قط ومع أفراد أسرته. إلا أنه توجد خاصية مختلفة تكرَّم الله بها على الزواج، ألا وهي أن الزوجين اللذين اجتمعا معاً في ظل النكاح يصبحان أقرب إنسانين لبعضهما البعض في الدنيا خلال لحظةٍ واحدة، بينما كانا إنسانين غريبين عن بعضهما البعض قبل ذلك. ويبدأ العش الذي أسسوه أيضاً في أن يصبح أكثر دفءٍ بكثير من منبت الأب الذي انفصلا عنه. وبناءاً على هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى:



﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوْا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾ (الروم، ٢١)

إذاً يجب أن تكون المودة والإخلاص والرحمة الموجودة فيما بين الأزواج هي العنصر الوحيد المسيطر من أجل سعادة الأسرة.

ولا يصبح من الممكن إدراك هذه السعادة في كل عشّ. وفي تلك الحال لو أن الوصول إلى هذه السعادة والهدوء نعمة كبيرة حقاً... فإلى ماذا يجب الانتباه من أجل تحقيق هذا؟

وهكذا يكون الشرط الأول هو مراعاة القواعد التي وضعها الإسلام في اختيار الزوجة بعنايةٍ من أجل تأسيس عش هادئ. وجوهر هذه القواعد أيضاً هو كالآتي: يجب ألا يختار الأشخاص المقدمين على الزواج زوجاتهم بناءً على أسباب مؤقتة، تُعجب بها النفس مثل الجمال والغنى. بل يجب أن تُعطى الأهمية في الاختيار للصفات المعنوية الأساسية مثل الإيمان والأخلاق. يقول سيدنا رسول الله ﷺ في هذا الخصوص ما يلي:



"تُنكح المرأة لأربعٍ لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك".[٣]

إن هذا الحديث الشريف الذي يشير إلى الأمر الذي ينبغي التحرّي عنه في أي امرأة سيتم التزوج بها انطلاقاً من حقيقة أن الذي يبني العُش هي أنثى الطير، ينطوي في داخله أيضاً على الأمر الذي يجب تحرّيه في الرجل الذي سيتم التزوج به. لأن أثمن نصيب بعد التقوى من أجل كل مؤمن هو أن يكون الشخص الذي سيتم الزواج به صاحب عمل صالح (عمل حسن). إن الرجل الصالح هو عمود لا يتزعزع في قصر السكون، والمرأة الصالحة أيضًا هي أقْيم زينةٍ لحدائق السعادة.

وهذه الحقيقة تعبر عما ورد في الحديث الشريف:

«عظمة المرء هي سر في دينه، ومروءته وشرفه هي سر في عقله، وحسبه وجماله هو أيضًا سر في أخلاقه (التي تُصان بالنكاح)»[٤].

---

٣ البخاري، النكاح، ٤، ١٢٣؛ مسلم، الرضاع، ٥٣.

٤ هذا ليس بحديث، وإنما بها معناه.



وعلاوة على ذلك يجب توخّي الدقة حتمًا في التكافؤ أي التعادل الموجود فيما بين العائلات. ويجب إقرار هذا التكافؤ من خلال مراعاة العناصر المختلفة مثل الغنى، والتوافق الاجتماعي والثقافي.

وبعد هذا يكون الأمر متوقفاً على الإرادة والنضج. ويتحقق النضج باكتمال الإيمان واتقان العمل، أما الإرادة فابتباع الأوامر الإسلامية واجتناب المحرمات.

وفي طيّ هذا فإن عُش أي أسرة هادئ يمتثل لأوامر الله ويجتنب نواهيه هو أساس سعادة الدنيا، وأحد أعظم النعم لربنا سبحانه وتعالى، واستمرار هذه النعمة والسعادة يكون في تعايش الطرفين في داخل مناخ من الروحانية، أي أن هذا متوقف أيضًا على التضحيةً والتفاهم المتبادلين.

ويأتي"**تشبه الرجل بالمرأة وتشبه المرأة بالرجل**" على رأس أهم الأسباب التي تودي بالأسرة فتنهار في وقتنا الحاضر. فقد أنعم الله تبارك وتعالى بخصائصَ مختلفة على المرأة وخصائص مختلفة على الرجل. وهذه الخصائص تتشكل طبقًا لأهلية الوظائف والمهام الموجودة في المجتمع لكلاً منهما. إن جميع الخصائص



الخلقية من البنية الجسدية حتى الخصائص الروحية، قد تشكلت في الرجل والمرأة طبقاً للمسؤليات (المهام) التي أسندها الله لهما. وهذا الوضع قد ظهر جلياً في جوانب القوة الروحية والتحمّل والخصائص البدنية في الرجل الذي تحمَّل وظيفة تأمين مورد رزق الأسرة. هذا وأيضاً يقتضي أن يكون الرجل هو ربّ الأسرة ويتطلب منه المسؤلية في سبيل تأمين معيشة تلك الأسرة من خلال الكفاح في معركة الحياة من أجلها.

ولم تُسند إلى المرأة أية مسؤولية تتعلق بمعيشة الأسرة. ولو كانت حُمِّلت ذلك لكان هذا يصير عذاباً ومشقةً عليها. لأن خِلقتها بصفتها الروحية والبدنية ليست متوافقة مع معركة الحياة. فأولاً وقبل كل شيءأُسندت إليها وظيفة إلهيةٌ تقتضي عطفها، مثل ولادة الأطفال الذين هم ثمرة هذا الالتقاء ورعايتهم وحمايتهم في مراحل الصغر الأولى اعتبارًا من الولادة.

إلا أنه إذا سمحت الإمكانيات والظروف يمكن أن تعمل في وظيفةٍ مشروعة ومناسبةٍ لطبيعتها، وتكون هذه الوظيفة في خدمة النساء. مثل وظيفة إلقاء دروس القرآن الكريم للفتيات وما شابهها...



إن جميع خصائص الخلقة هذه التي صارت أثراً للتوظيف الإلهي، تُكسب هويةً مختلفة للمرأة والرجل، والتي تكمّل بعضهما البعض، أي أن سعادة الأسرة يصيبها الضعف عندما تبتعد الزوجات بعيداً عن هذه الخصائص.

ومن اللازم أيضاً قول أمر ألاوهو أنه يجب أن ألا تُفهم سيطرة الرجل الموجودة في الأسرة على أنها "**التحكّم**" (السيادة بالقوة الفظّة) وألا تُفهم طاعة المرأة أيضًا على أنها " أسْر". ولو تتحقق هذه الأدوار في داخل المعايير التي قرّرها الإسلام بشكلٍ حساس لن يصير في الأسرة "**ظالم**" أو "**مظلوم**" أيضاً ...

إن ظلم المرأة لزوجها من خلال الخروج عن دائرة العفّة والطاعة، واستخدام الزوج في مقابل هذا سيطرته في سبيل رغباته الأنانية يهدم عُش الأسرة، ثم إنّ الرجل الذي هو مأمورٌ بالكفاح في الحياة في العالم الخارجي يمكن أن يتعرّض لمجموعة من التوترات. وفي لحظاتٍ كهذه فإنه يكون لديه الحق وأيضاً الاحتياج إلى طاعته بشفقةٍ ومحبة مهدئةً له من جانب زوجته الموجودة في منزله. وبنفس الشكل فإن السيدة التي تنتظر زوجها في



منزله حتى المساء يكون من الطبيعي لها الحقّ والاحتياج أيضاً في شعورها بالاهتمام والارتباط اللازمين من جانب زوجها. ومن أجل هذا يجب على كل شخص في الأسرة أن يعرف حقوقه ومسؤولياته التي كلّفه الله بها. ويجب أن يكون الرجل في داخل الأسرة رحيمٌ وطاهر الذمة، أما المرأة فيجب أن تكون مطيعة ومحترمة.

وجملة القول أن القاعدة الفريدة التي تجعل أي عُش في جوّ من الهدوء والسعادة باستمرارٍ هي الحب والاحترام المتبادل. لكن يجب أن لا يُنسى أن أجدادنا قد قالوا: " أنثى الطير تبني العُش". ومن وجهة النظر هذه فقد تحمّلت المرأة دورًا مؤثّرًا كذلك في أمر حماية العُش. ومن أجل هذا فإن الفراسة (الحدس والإدراك) التي ستُظهرها المرأة في هذه النقطة تعرِض أهميةً أكثر من السعي والتضحية والرجولة لأن الحق تبارك وتعالى قد وهبَ الأم قدرة إحساسٍ أكثر من الرجل في هذه الناحية.

وبناءً على هذا يقول حضرة إسماعيل حقّي بروسوي الآتي بينما يفسّر كلمة "**الترائب**" التي مرّت في الآية السابعة من سورة الطارق:



«لو يسقط طفل ما في الطوفان، فإن الأم تقذف بنفسها أيضًا فيه مهما كان خطيرًا، وترتطم به مقدّمة روحها من أجل إنقاذ صغيرها. إلا أن الأب لا يستطيع أن يُقدِم على تصرفٍ كهذا. فهو يبكي على ضفة الطوفان بحزنٍ فحسب إذا انقطع الأمل من صغيره».

وطبعاً إنما هذا الأمر فيمن لم تفقد قدراتها العظيمة الموجودة في خلقتها من الأمهات. وإلا فإنه توجد أيضاً الأمهات التي ليس لهن أي ضمير وروح، فمنهنّ الغادرة التي تترك صغارها على حافّة جامع أو قبر. لكن مثل هؤلاء قد انعدمت وقُتلت المزايا السامية الموجودة في خلقتها وأرواحهن قد غدت خراباً.

في ظل الظروف الطبيعية لا يمكن لحسّ الأمومة التفريط بأي شكل في الولد أو الطفل. وهذا الحسّ السامي هو حقيقة إلهية تُرى حتى في الحيوانات. وفي الواقع إن ذلك المثال المعبر الذي يُثبت في فيلمٍ وثائقي هو تجلٍ سلسٍ لهذه الحقيقة:

في متنزه عامٍ طبيعيٍ في «سامبورو» بـِ «كينيا» في ما بين تاريخ ٢١ ديسمبر ٢٠٠١ و١-٢ يناير ٢٠٠٢



أصبحت أنثى الأسد الأم وصغير الظبي في إطار علاقة الأم بصغيرها بدرجة محيرة. وكان أول ما عكسته الكاميرات إظهار أنثى الأسد الشفقة لصغير حيوان الظبي ولا يزال الحبل السري معلقاً به. وأنثى الأسد الأم تعتني به وكأنها تبنته. ومن أجل العلاقة الدافئة لأنثى الأسد الأم بصغير حيوان الظبي أيضاً كانت لا تفترق عنه. وتسعى لإطعامه ورق الشجر من أجل أنه لا يستطيع أن يرضع اللبن. ولأن أنثى الأسد الأم تدرك أنه صغير حيوان الظبي، فهي لا تسعى لإطعامه اللحم . حتى أنها في خلال هذا الوقت لا تخرج للصيد أيضاً بالرغم من الضعف الذي أصابها. وبالرغم من هذا كله كلاهما يتمتع بصحة جيدة أيضاً. أي أنه على الرغم من عدم رضاعة صغير حيوان الظبي لِلبن الأم وعدم خروج أنثيى الأسد الأم للصيد، فهما في حال من الحيوية مع بعض الضعف .

وفي هذه الأثناء تُقبل أنثى حيوان الظبي الأم التي تبحث عن صغيرها. وتندهش عندما ترى صغيرها في رعاية أنثى الأسد. ولا تستطيع أن تقترب. لكنها لا تغادر أيضاً. وتتفاهم مع صغيرها من خلال إصدار أصوات



من بعيد. وهكذا تُنشئ علاقة مع صغيرها. حتى أنهما يرعيان معاً. تحت مراقبة وترقب من أنثى الأسد. لأنها قد تآلفت واعتادت تماماً على صغير حيوان الظبي. ومن أجل هذا لا ترضى ببعده عنها، فتظهر الرضا بتجوله مع أمه الأصلية وابتعادهما سوية، لكنها تتدخل إذا ما ابتعد صغير حيوان الظبي أكثر. لأنها تحب صغير حيوان الظبي كثيراً. فهي تربّت عليه بلسانها، وتلعق أذنه، وتلاعبه من خلال المسح على وجنتاه ورأسه. لكن في النهاية سيغلب على أنثى الأسد الأم في داخلها الإحساس الذي صارت به أم الصغير، وستودع صغير حيوان الظبي في النهاية. فأرسلته وهي تشمه، وتداعبه، وتحكّ جلدها بجلده وترحل عنه وهي حزينة. لكن للقضاء والقدر الإلهي شأنه حيث يلمح الأسد الذكر صغير حيوان الظبي الذي بقي بمفرده دون أن يمضي كثيراً مع أمه. وعلى التوّ يفترس ذلك الصغير الضعيف العاجز عن الدفاع عن نفسه. وقد تأثرت أنثى الأسد الأم التي شاهدت الموقف إلى أقصى درجة. فغدت تحني رأسها وتشم وتشم دماء صغير حيوان الظبي في المكان الذي نفق فيه. وكأنها تبكي في أعماقها وتذرف الدموع.



وهذه الحادثة التي سجلتها الكاميرات هي مثال إلهي غاية في الدهشة. وهي تجلٍّ لصفة الأمومة في أسمى درجاتها، وفيما بين اثنين من الحيوانات المعادية لبعضها البعض فضلاً عن خلقتها. وها هي أحد الآيات العظيمة للحق سبحانه وتعالى. وإنها لمعجزة إلهية تتجلى فيما يتعلق بصفة الأمومة.

وتوجد هنا حِكَم وعبر عظيمة لنا. أي أن الأم ليست باعتبار الخصائص الجسدية وإنما بالخصائص الروحية السامية. ولو أن أي امرأة تودع أنوثتها وأمومتها من أجل هذا، فحين ذلك هي ليست مثلاً أعلى لأي شفقة بل هي صياد يقتل بلا رحمة. وفي مقدورها أن تقضي على كثير من الصغار. ومن أجل ذلك ينبغي أن تحتفظ النساء بمستوىً أسمى عن المخلوقات الأخرى، دون أن تفقد كنز الأمومة أبداً. لأنه لا توجد مواجهة ومحاسبة في حق المخلوقات الأخرى في عالم الآخرة مع صغارها. أما البشر فتوجد. أي أنه من أجل البشر ستخرج أبنائهم في يوم الحشر أمامهم إما كخير وإما كشر. ومن أجل وجهة النظر هذه فإن الأمومة الأكثر شفقة وسمواً والتي ستُظهر للأبناء، هي تربيتهم في شكل سيحفظهم من نار جهنم



وإكسابهم نظام معيشة سوف يبقى وسيلة إلى الجنة. ومن أجل هذا يأتي إتاحة التعليم الديني والأخلاق الطيبة أي التربية الأخلاقية وإدراك العبودية على رأس الواجبات.

يا سيدي إن الأفراد الذين سيتزوجون في مجتمعنا يقضون فترة تسمى بالخطوبة. فيعانون كثيراً من المشاكل في هذه الأثناء. فما هي الأمور التي سيتحرونها في موضوعاتٍ مثل تنزه الطرفان، وتحدثهما مع بعضهما في فترة الخطوبة وما شابه ذلك؟

إن تأسيس الأسرة في بنية صحيحة لا تتزعزع، هو الأمر الذي اجتهدنا لشرحه منذ البداية. وفضلاً عن هذا فإن تأسيس الأسرة على أسس منظمة وسليمة، هو مرتبطٌ بالتحرك في إطارِ معيارٍ وتوازنٍ إلهي في كل مرحلة من البداية إلى النهاية، وليس في فترة الخطوبة فحسب. إلا أنه مع الأسف فإن مجموعة من الأشخاص في زماننا الحاضر، يحدث الكثير من الأخطاء والعقبات والتسبب بحزن الغير مما لا يمكن إصلاحه، وذلك من أجل أنهم يتصرفون في فترات الخطوبة وكما لو أنهم متزوجين حقاً.



وينبغي ذكر أن مرحلة قطع الوعد والخطوبة هي عبارة عن تعاهد الطرفان لبعضهما البعض باتخاذ القرار في سبيل الزواج. أي أن هذة المرحلة ليست مثل مرحلة النكاح. فالطرفان أيضاً ما زالا محرّمان على بعضهما البعض أي أن حاجز الحرام لا يزال موجوداً فيما بينهما. ومن أجل هذا ينبغي الانتباه لحدّ الحرام هذا وإلى حدود الحلال.

وباختصار فإن وجود الطرفان اللذان صارا مخطوبان لبعضهما البعض، ولم يعقدا النكاح حتى الآن أيضاً بمفردهما في أماكن الخلوة، وتحدّثهما وتواجدهما مع بعضهما البعض بصورةٍ زائدة عن اللازم، ليس مناسباً أصلاً. وهكذا نشهد جميعنا في يومنا الحاضر دمار كثيرٍ من الحالات.

وأريد أن أذكر رواية لابن عباس في هذا الأمر:

«خلق الحق سبحانه وتعالى والدتنا حواء من ضلع سيدنا آدم الأقصر الأيسر، وكان سيدنا آدم عليه السلام نائماً في هذه الأثناء. فاستيقظ وعندما رأى حواء مثل النبتة بجانبه، مالَ قلبُه إليها ومدّ يده. فصاحت الملائكة:



يا آدم لا تمسّها!.. لم يُعقد نكاحها بعد!..

وبعد هذا عُقد نكاح سيدنا آدم وسيدتنا حواء. وتحقق شرط المهر أيضاً من خلال تلاوة الصلاة الشريفة على حضرة المصطفى سيدنا محمد ﷺ ثلاث مرات».

وقد صارت هذه بداية أول نكاح أمام الله وبين يدي الحقيقة المحمدية.

وهكذا اكتسب النكاح معنىً سام بالصلاة على حضرة المصطفى سيدنا محمد ﷺ. وامتلأ بتجليات الرحمة والبركة والفيض.

ياسيدي الكريم، ماذا تريدون أن تقولوا فيما يتعلق بإقامة حفل الزفاف؟

إن الزفاف في الزواج هو وسيلة لمشاطرة السرور والسعادة مع الأصدقاء وأقارب الأسرة. وفي نفس الوقت هو من أجل تحقيق مبدأ الإعلان والإشعار الموجود في النكاح ليشمل كل شخص. وعلاوة على ذلك فإن الأمر الذي على جانب كبير من الأهمية مثل تأسيس عُشٍّ من أجل استمرار نسلٍ الإنسان، هو مقصدٌ جميل أيضاً لجلب مناسبةٍ للفرح والسرور. وهذا أيضاً

ضروري لخلقنا. إلا أنه يجب توضيح ذلك وهو أن إقامة حفلات الزفاف بإسرافٍ بشكل سيصبح وسيلةً لخراب العائلات، هو أمرٌ لن يقبله الإسلام أيضاً. إن الإسلام يأمر بتوخّي الدقة في الإسراف في المياه حتى للذين يتوضؤون في ماء نهر جارٍ، ويرغب في أن يعوّد المرء نفسه على التصرفِ باعتدالٍ.

ومن أجل هذا ينبغي على الطرفين حتى وإن كانا أغنياء أن يتصرفا بطريقة وسطية من خلال التفكير في المستضعفين والمحرومين الموجودين في المجتمع الذي يعيشون في داخله. إنّ تحويل حفلات الزفاف مثل التي يقيمها كثيرٌ من الأغنياء في زماننا اليوم إلى مظهر للأبّهة والغنى هو دليلٌ على أن الإسلام لم يستطع أن يهضم جنون الإسراف وهذا أيضاً.

إن حفلات الزفاف ينبغي أن تكون في جوٍّ من الرقّة واللطافة. إن جميع أنواع الإسراف ينبغي أن تكون بعيدة عن التفاخر والمغالاة، وينبغي أن يقيم كل شخص مراسم متواضعة طبقاً لحالته المادية. ثم إن حالاتٍ مثل إظهار القدرة المادية تقضي على الغرض من حفلات الزفاف وروحانيتها.



وأخيراً إن التقدم خطوةً ببداية سيئة على سبيلٍ مبارك مثل الزواج بالحركات والعادات الخاطئة التي تتنافى مع المعايير الإلهية، هو انحراف إلى الجهل والخسران. إلا أن مجالس واجتماعات النكاح الممتثلة لأحكام الله العظيم سبحانه وتعالى والمطابقة لقواعد الأخلاق، تكون مباركة وهي الأماكن التي سيُقبل فيها الدعاء.

وقد أُجيز المرح والترفيه الحلال إلا أنه بشرط ألا يكون هناك اختلاط بين النساء والرجال، أي الذي سيتم فيما بين النساء أنفسهم، وفيما بين الرجال أنفسهم أيضاً.

وينبغي أن يُدعى المساكين والبؤساء إلى الوليمة التي ستُقام من الطرف الآخر، أي إلى طعام الزفاف الذي هو سنّة سنية مهمة وبمقام طعام الجنة. لأن رسول الله ﷺ قد نبّه على هذا الأمر على النحو التالي:

"بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين".[5]

ويجب أن يُدرك أن عون الأمة يتم بسبب دعاء الضعفاء. ومن أجل هذا يتم دعوة المساكين والفقراء

---

٥ البخاري، النكاح، ٧٢؛ مسلم، النكاح، ١٠٧؛ ابن ماجه، النكاح، ٢٥.



على وجه الخصوص إلى طعام الوليمة. ويجب أن يُذكر أن موسى عليه السلام إلتجأ إلى الحق سبحانه وتعالى:

وسأل قائلاً: «يا ربي! أين ينبغي أن أبحث عنك؟»

فقال الله سبحانه وتعالى له أيضاً:

«ابحث عني بجوار مكسوري القلب!».[6]

لأن رجاء الأشخاص مجروحي القلب والمساكين مقبول عند الله. ومن أجل ذلك يجب توخّي الدقة أكثر في تلقي دعائهم وفي اللحظات المهمة التي تُوضع فيها أسس الأسرة مثل الزواج أيضاً على وجه الخصوص. بالإضافة إلى ذلك ينبغي أيضاً عدم إهمال تلقي الدعاء بالخير من الأشخاص الصالحين والصالحات.

يا سيدي، ما هي الأمور التي على الرجال والنساء من الشباب المتزوجين الانتباه إليها من ناحية سلامة عُش الأسرة؟

ينبغي العلم جيداً أن الأمم ترتقي برجالها، لكن المرأة تكمّل هذا الارتقاء أيضاً. وكما أنه لن يمكن حدوث تقدّم بدون الرجل، لن يحدث أيضاً تقدمٌ ورقي

---

٦ أبو نعيم، الحلية،٢، ٣٦٤.



بدون المرأة، وإن حصل يكون ناقصاً. ومن أجل هذا الارتباط فإن الرجل الذي يصبح متوتراً في الأسرة، لا يمكن أيضاً أن يصبح ناجحاً في عمله في معظم الأحيان. ومن أجل هذا يمكن أن نقول أن البلاد ترتقي في ظلّ نضج وتنشئة المرأة. وبطبيعة الحال فإن عكس هذا أيضاً هو بنفس الطريقة.

أي أن الأمة والبلاد تفقد قيمتها وقوتها أيضاً كنتيجة لتدني مستوى المرأة. وصفحات التاريخ مليئة بنماذج لا تعدّ ولا تحصى لهذه الحقيقة. ومن أجل هذا فإن الحاجة إلى بنياتٍ أسريةٍ سليمةٍ، هو أمر لا مفرّ منه.

وفي الواقع إن الإنسان هو كائن رائع (مثالي) بمقتضى خلقته. أما شخصيته وهويته التي ستعكس مثاليته هذه، فتظهر في عش أسرة سليم فقط. وبسبب ذلك يجب أن يكون عش الأسرة بالنسبة إلى الإنسان هو أدفئ حضن تدريبي للأحوال والتصرفات محققاً شعور العطاء. فلو حدث الأمر على هذا النحو لحظيت القلوب بمستوى معنوي وروحاني. ولنالت نصيباً من حياة الأسرة الأنبياء والأولياء.



وفي هذا الإطار تكون سعادة الأسرة مرتبطة بأن يكون الطرفين محترمين للحقوق المتبادلة ولتوطيد هذا الاحترام بالمودة.

ومن المهم جداً إمكانية أخذ نصيب من نبع "**التقوى**" التي قصدتها تعبيرات " **اتقوا / اخشوا الله**" الموجودة في الآية في أمر تحقيق سعادة الأسرة. والأرض والسماء شاهدتان أن تلك الدنيا قد تحوّلت إلى جنةٍ ببركة رعاية حقوق المرأة، وإلى جهنم بالعاقبة السيئة لعدم رعايتها. وفي جزءٍ من خطبة الوداع يقول سيدنا رسول الله ﷺ الآتي في أمر حقوق المرأة:

"...**ألا واستوصوا بالنساء خيرا، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن** ...".[٧]

---

٧ الترمذي، جـ ٣، ٤٥٩/ ١١٦٣.



وبناءاً على هذا فإن انتزاع النساء من الانشغال بالبنيات الأخلاقية لأولادهم من أجل نسل صالح، وتوجيههم إلى الأعمال المخالفة لخلقتهم العظيمة، لا يدخل لا في المنطق ولا في الإدراك ولا في الإيمان أيضاً. ولا يصلح لأن الهدوء والسعادة الموجودة في الأسرة هي نصيب سيمكن الحصول عليه فقط من خلال استخدام وحماية الخصائص والقدرات الموجودة في المرأة والموجودة في الرجل، وفقاً لمكانها الصحيح.

إن الزواج الذي عُقد هنا من أجل الحصول على هذا النصيب، هو بنية يقف الإسلام عليها بشكل حساس جداً. ويوجد لها جانبان ماديان ومعنويان أيضاً.

ولهذا السبب ومن أجل القدرة على تأسيس عش الأسرة من خلال الجانبين، فشرط أن يكون لديه جدية واهتمام لأقصى درجة. وفي العكس من ذلك، يمكن تفهّم الزواج كما لو كان صحبة بسيطة.

وأعشاش الأسرة المؤسسة بمفاهيم سطحية هكذا أيضاً تنتهي مع الأسف بحالات الطلاق غير المبررة. وفي الواقع إن نهاية الأزواج الذين لم يرتبطوا بالمشاعر



الدينية والأخلاقية أيضاً تكون إما الانفصالات أو سلسلة المآسي التي تمتدّ حتى القبر.

وبطبيعة الحال أيضاً فإن هذا ليس النتيجة المرغوب فيها قطعاً. ومن أجل هذا تم تقييم حالات الطلاق على أنها حادثة تهزّ العرش الأعلى. ويقول رسول الله ﷺ:

"تزوّجوا، ولا تطلّقوا!.. فإنّ الطلاق يهتزّ منه عرش الرحمن...".[8]

ولا سيما أن طلاق النساء من أجل المتعة والترفيه؛ حسابه وعذابه أيضاً هو ذنب وظلم كبير، وليس حلالاً قطعاً. وهذا يدخل في حق العبد الذي لن يغفره الله أبداً، ويجرُّ إلى الهلاك والخسران.

إن للزيجات التي تتمّ اعتباطاً وبلا حيطة، وحالات الطلاق التي تعقب هذا نهايات حزينة جداً إلى درجة أنها تعد ولا تُحصى. والانعكاس الأشد والأسوأ الذي ينجم عن هذا يحدث للأطفال أولاً.

إن الأطفال الذين لا يستطيعون أن يجدوا دفء الأسرة في داخل المنزل، والذين يتعرضون للمعاملة

8 علي المتقي، جـ٩، ٢٧٨٧٤/ ١١٦١.



السيئة من قبل والداهم اللذان سيُحتذى بهما، يعيشون عرضةً لرحمة الشوارع. وعندما يحدث هذا فإن هؤلاء الأطفال الذين يهربون من البيت وينخرطون فيما بين أطفال الشوارع، يسقطون وفي وقت قصير في شرك السجائر والكحول والتنر والمخدرات والزنا وفي شِرك المنظّمات الإجرامية المختلفة. وهذا أيضًا، يمهّد الطريق إلى فاجعة ستدمّر المجتمع، ويُطلِق شرارة انهيارٍ أخلاقيٍ مخيفٍ يجعل حياة المجتمع قاحلة جدباء أيضًا.

إلا أنه من اللازم والطبيعي التأكيد أيضًا على حقيقةٍ بصفتها متعلقة بالطلاق، وهي أن عقد النكاح طبقًا للإسلام هو ليس «عقداً لن يمكن أن يفسد بأي شيء قط، ولابدّ من استمراره وأنْ لا مفرّ منه طوال العمر» كما هو الحال عند النصارى الكاثوليك. إضافة إلى أن كل اتفاقٍ يُعدّ شريعة الذين وقّعوا ذلك الاتفاق، وبالتالي فيمكن إلغاء ذلك الاتفاق قطعًا باتفاقٍ جديدٍ سيُوقّع فيما بين الطرفين من أجل بعض الاضطرارات.

وهذه هي القاعدة التي تبنّاها الإسلام ويتطلبها العقل والمنطق أيضًا. وفي حالة العكس إذا لم يكن هناك حقٌ للطلاق في زواجٍ خاطئ وغير موفّق تصبح الحياة



نكدًا على الإنسان. وتتحوّل الزيجات إلى أسْر. وينحدر الزوجان اللذان لا يستطيعان إيجاد حلٍّ لمآزقهما الحرجة إلى مستنقع حياةٍ منحرفةٍ ومعوجّةٍ في النهاية. ومن أجل هذا قد أحلَّ الإسلام الطلاق عندما تتشكّل ضرورة لا مفرّ منها، كما وقد تُرك هذا للرجل الذي يسنح له التصرف بإرادةٍ أكثر.

إن منح حق الطلاق للرجل على أن ذلك قاعدةً وفقاً للإسلام، هو بسبب عاطفة النساء. ولا يوجد مانعٌ قط حيث بمقدور المرأة تملّك الحق نفسه أيضاً فيما لو اشترطت هذا في عقد النكاح. ويُطلق على هذا اسم تفويض الطلاق.

وعلاوة على ذلك فإذا لم تشترط المرأة هذا وإذا ما ظهر اضطرار جديّ أيضاً يكون لها الحقّ في الطلاق بمراجعة السلطات المختصة.

ومن أجل هذا فإنه من الممكن الحماية من حالات الطلاق التي لا طائل منها بمعرفة كلٍّ من الرجل والمرأة لقدرهما وقيمتهما بصورةٍ متبادلة، وبالمحافظة على ذلك بصورة متبادلة أيضًا. وتتحقق الأيام السعيدة لرفقاء



الحياة بالذكريات الدقيقة والعميقة والسعادة الحميمية والرفاهية والسلام واللذة في ظلّ كل المعايير الإلهية. وسيتجلّى هذا أيضًا بصدقِ وإخلاصِ كلا الطرفين تجاه بعضهما البعض بصفتهما عباداً لله.

ويتضح ذلك في الأحاديث الشريفة:

"من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته، فصليا ركعتين جميعا، كتبا من الذاكرين الله كثيرا، والذاكرات".[٩]

"رحم الله رجلا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء".[١٠]

وانطلاقاً من هذه الأحاديث فإن فيما يلي لطيفة ألا وهي سعادة الأسرة:

وهي متعلقة بقاعدتين عظيمتين مثل:

١. **العلاقة الحميمية فيما بين الطرفين.**

٢. **ترغيب بعضهما البعض في التقوى.**

---

٩ أبو داود، التطوع ١٨، الوتر١٨/ ١٤٥١.

١٠ أبو داود، التطوع ١٨، الوتر١٨/ ١٤٥٠.



ولو يجب عرْضُ عُش أسرةٍ مثالي ونموذجي، جُمع فيه كل هذا الذي سُرد لكم، أيوجد أمثلة ناجحة أمامنا؟

دون شكّ من الممكن ضرب أمثلة كثيرة جدًا. إلا أنه على رأس هؤلاء جميعًا يوجد عُشّ من الهدوء والسعادة الذي أسسه سيدنا رسول الله ﷺ.

لأن سيدنا رسول الله ﷺ هو أفضل مثالٍ ومرشدٍ في كل صفحةٍ ومسألة من الحياة، فقد أسس نموذجٍ عُش لجميع البشرية أيضًا من ناحية سعادة وهدوء الأسرة، وقد عرضٍ حياةً رائعةً ومفيدةً ومباركةً من كل ناحية. أي أنه مثالٌ لأروع زوج وأروع أب أيضًا من أجل عُش أي أسرةٍ سعيدة. وزوجته المباركة أمّنا السيدة خديجة هي نموذجٌ لأروع زوجة وأم أيضًا. وأمهات المؤمنين الأخريات هنّ كذلك ... وباختصارٍ لم يصدر منه أدنى قصور في عُش الأسرة الذي أسّسه. وهذا هو نجاح لا يمكن تصوره، ونظرًا لكونهم بشرًا فقد حدثت بلا شك بعضٌ من الأمور الصغيرة جدًا فيما بينه وبين أمهات المؤمنين. إلا أنها قد أسفرت جميعها عن الخير والبركة في ظلّ أخلاقه العظيمة وشخصيته المثالية، وقد شكّل قدوةً لجميع الأمة في كيفية التصرف في مواقف هكذا.



وبهذا الاعتبار فإن عُش أسرة سيدنا رسول الله ﷺ هو العُش الأكثر مثاليةً ونموذجية من كل ناحية مثله مثل شخصيته العظيمة وذاته.

ثم إن ذلك العُش هو العُش الذي يغمره الهدوء والجمال هكذا في الدنيا، أي أنه على الرغم من أنه لم يطهى فيه أي طعامٍ ساخنٍ لأيام طوالٍ كانت تفوح السعادة منه فوحًا. وعلاوةً على ذلك كانت حجرة السيدات في ذلك العُش المقدّس عبارة عن مكان يُظلّ رؤوسهم فحسب من الضيق. إلا أن ألذ رزق لذلك العُش كان الرضا والصبر والتسليم. إلا أن أصول التربية التي طبقها رسول الله ﷺ في حياة الأسرة كانت قد ملأت قلوبهم بإخلاص ومحبة دائمين. ولا تستطيع أي إمراة قط أن تحب زوجها بمثل درجة حب أمهات المؤمنين لرسول الله ﷺ. ولا يستطيع أي زوج قط أن يحب زوجته أيضًا في درجة محبة رسول الله ﷺ لزوجاته رضوان الله عليهن. ولا يستطيع أي ولد قطّ أن يُحب أبيه بالقدر الذي أحبّت به السيدة فاطمة أبيها. وليس بمقدور أي أب قط أيضًا أن يحب ولده بالقدر الذي أحبّ به رسول الله ﷺ ابنته السيدة فاطمة.



وقد راعى سيدنا رسول الله ﷺ لأقصى درجة أيضًا العدل فيما بين زوجاته اللاتي هن في مقام أمهات جميع المؤمنين. وقد بذل كل ما في وسعه في هذا الأمر، لكنه قد التجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالاعتراف أيضًا بصعوبة تحقيق العدالة المطلقة حيث قال فيما معناه:

"اللَّهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك".

"اللهم إني من الممكن أن أحبّ إحداهن أكثر من الأخرى دون قصد. و يصير هذا حيئذٍ ظلم. اللهم من أجل ذلك! ألتجئ إلى رحمتك في هذا الأمر الذي ليس في وسعي!..".[11]

---

١١ في هذا الدعاء والرجاء توجد حكم كثيرة جداً في تعبير رسول الله ﷺ عن عجزه وضعفه. وأحد هذه الحكم هي، التأكيد على أمته التي ستتخذه مثلاً أعلى لها في كل شيء، بعدم النسيان أنه بشر في النهاية. لأن بعضاً من الأمم السابقة قد شططوا عن إيمان التوحيد ووصلوا إلى حدّ تأليه أنبيائهم بسبب إظهارهم الاحترام والتبجيل المتجاوز للحد لأنبيائهم. ومن أجل هذا أكد الدين الإسلامي على خاصية كون رسول الله ﷺ «عبد الله» قبل صفة كونه «رسول الله» في جملة الشهادة التي شكّلت أساس الإيمان. ومن الطبيعي أن تصرفاتٍ مثل تناوله في هذا الموضوع من ناحية العبد فحسب وتجاهل كونه الرسول هي أيضاً جهلٌ وكرهٌ عظيمين.



اللهم ربنا! اقسم لنا ولأسرنا حياةً من التقوى التي ترضى فيها عن عبوديتنا وطاعتنا إياك، واجعل بيوتنا جنة من الإحسان والسعادة! واكْفنا عذاب جهنم التي أوقَدَتْها آلاف الأعمال من العصيان والغفلة!

آمين!..



الأمور التي ينبغي على النساء

مراعاتها في الأسرة



"ما استفاد المؤمن بعد تقوى اللّه خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله"

(ابن ماجه، النكاح، ٥/ ١٨٥٧)

الأمور التي ينبغي على النساء مراعاتها في الأسرة

ما هي الأمور التي ينبغي على أي امرأة مراعاتها من أجل ضمان الهدوء والسعادة في عشّ الأسرة؟

يجب أن تراعي النساء قبل كل شيء عبادة الله وتقواه بصفتها من مقتضى خلقنا. وينبغي أن يُظهرن الاعتناء أيضاً بالحلال والحرام في هذا الأمر إلى جانب مراعاة العبادة والصلاة والرجاء.

إن تقوى واستقامة المرأة في داخل الأسرة يتطلب منها في النهاية أن تحثّ زوجها وأطفالها وأقاربها وحتى جيرانها على الخير والحسنات. فالمرأة الصالحة هي زهرةٌ تفوح برائحة الجنة التي تنشر السعادة حولها.

إنّ الوظيفة الأهمّ من أجل النساء، والتي تأتي بعد عبادة الله، هي إسعاد أزواجهن وأفراد الأسرة. إن إسعاد



أزواجهن وعدم خفض الظلّ عن سعادة الأسرة تُكسب رضا ربنا على النساء. وبناءاً على هذا قال سيدنا رسول الله ﷺ:

"ما استفاد المؤمن بعد تقوى اللّه خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله".[١٢]

وفي ذلك الحال ينبغي على أيّ امرأة أن تبحث وتعثر على سُبل سعادة زوجها، وينبغي أن تتطلّع إلى رضاه.

يا سيدي، ولو نوضّح أكثر قليلاً هذا الموضوع، ماذا ينبغي أن تراعي أيّ امرأة في بيتها وفي حياتها اليومية؟

ينبغي أن تعتني بنفسها بينما هي في داخل البيت، وأن تكون نظيفةً ومهتمة بنفسها. حيث أن كون المرأة مهملةً في ملابسها ونظافتها وتعيسةً حتى في نظر أيّ رجل عادي هو كافٍ من أجل سقوطها من نظره. وينبغي أن تكون بعيدةً عن كل شكلٍ وصورة لن تُعجب بها

١٢ ابن ماجه، النكاح، ٥/ ١٨٥٧.



العين في جانب زوجها. وينزلق قلب الشخص الذي لا يستطيع أن يجد ما يبحث عنه في البيت صوب الأماكن الخاطئة في الخارج، ويلحق الضعف بسعادة الأسرة في النهاية. ولهذا السبب ينبغي أن تكون المرأة في داخل البيت مثل باقةٍ مقتطفة من الأزهار المختلفة بلونها ورائحتها، وينبغي أن تنشر السعادة والهدوء على زوجها. ويجب أن تتحرق شوقاً لزوجها في ساعات المساء، و ألا تنفر من عودته إلى البيت مساءاً.

ويلزم المرأة الصالحة أن تقابل زوجها على الباب بوجهٍ طليق. وأن تودعه عندما يخرج من البيت بالكلمات الطيبة والأدعية أيضاً. كما عليها إذا كانت أرهقت نفسها جداً في ذلك اليوم ألا تظهر ذلك حتى وينبغي ألا تعبس وجهها وهي إلى جانبه. وأن تتقاسم مع زوجها متاعبه، وأن تساعده على التخفيف من إجهاده.

وينبغي عليها عدم جعل الوئام يفرّ من بينهما بسبب الانفعال المتجاوز للحد، والشكوى بلزوم وغير لزوم. وما أجمل تصرف أم سُليم من الصحابياتِ الكرام في هذا الموضوع تجاه زوجها. فعلى الرغم من وفاة طفلها لم يمنعها هذا عن خدمة زوجها وعن التضحية بنفسها



من أجله. حيث يُروى أن ابن أبي طلحة الذي اشتدّ عليه المرض كان قد توفي عندما كان أبوه غيرموجود بالبيت. وعندما رأت أم سُليم أن طفلها قد توفي غسَّلته وكفنته. فلما جاء أبو طلحة:

سأل قائلاً : «كيف حال الولد؟».

فقالت أم سُليم: «سكن ألم الطفل، وأظنّ أنه استراح».

وقد نبّهت أم سُليم على أهل البيت بشدّة قائلة:

«احذروا لا تقولوا لأبي طلحة أن ابنه قد توفي حتى أقول أنا!».

وبعد ذلك أحضرت الطعام لزوجها. وتناول أبو طلحة الطعام. وتزيّنت أم سُليم وأقبلت على زوجها وسكنا إلى بعضها البعض. وعندما أقبل الصباح، وأراد أبو طلحة الخروج من البيت، قالت أم سُليم المرأة ذات الفطنة والتقوى:

«يا أبا طلحة، انظر إلى ما فعله جارنا ذلك، عندما طلبت الأمانة التي أخذها من أجل استخدامها لم يرد ردّها».

فأجاب أبو طلحة قائلاً:



«هل يحدث ذلك قط، لم يفعلوا الخير!».

فأسرعت أم سُليم قائلة على هذا:

«يا أبا طلحة، إن إابنك كان أمانة الله عندك، وقد استردّها».

فاندهش أبو طلحة فجأةً وصمت ثم استطاع القول:

«إن لله وإنا إليه راجعون».

وعندما ذهب للمسجد من أجل الصلاة حكى لسيدنا رسول الله ﷺ ما حدث وجرى. فدعى رسول الله ﷺ قائلاً:

"بارك الله لكما في غابر ليلتكما".

وبعد مرور عامٍ واحد كذلك على هذا الدعاء مَنَّ الله على هذه الأسرة بولدٍ ذكرٍ. وقد حنّك رسول الله ﷺ هذا الطفل الذي وُلد حديثاً بالتمر ودعى له وسمّاه «**عبد الله**». وقد رُوي أنه ببركة هذا الدعاء صار لعبد الله تسعة أو سبعة أبناء، وكلهم صاروا قراءً وحفظةً للقرآن الكريم..[١٣]

١٣ البخاري، الجنائز، ٤٢/ ١٣٠١، العقيقة، ١؛ مسلم، الأدب، ٢٣؛ فضائل الصحابة ١٠٧/ ٢١٤٤.



ماذا ينبغي على المرأة الصالحة أن تراعيه أيضًا في علاقاتها مع زوجها من أجل مناخ أسرة مليء بالهدوء؟

ينبغي عليها ألا تهمل زوجها في أي وقت قط، وينبغي عليها ألا تضع زوجها في المرتبة الثانية في الترتيب الموجود فيما بين أفراد الأسرة. وأي رجل طبيعي لن يستطيع أن يتقبل أي تصرف كهذا من المرأة، لأن هذا الوضع سيخالف طبيعة الخلقة.

ولإسعاد أي شخص لا بد من التعرّف عليه بشكل جيد، ولذا ينبغي على المرأة أن تسعى لفهم زوجها وأن تشاطره مُثُلَه العليا واهتماماته وأحاسيسه وأذواقه وألا تنفصل عنه، وينبغي على الرجل في مقابل هذا أن يتصرف بالشكل ذاته تجاه زوجته أيضًا.

أما إذا لم يهتموا بهذا، فستقلّ باستمرار "**الارتباطات والنقاط المشتركة والمشاطرات**" والتي هي ضرورة طبيعية لمرافقة الحياة وسيبتعد الزوجان عن بعضهما البعض مع مرور الوقت. وبعد هذا بمدة إذا لم تُتخذ الإجراءات مع مرور الوقت يصبح الحال على النحو التالي وهو

أن المودة والارتباط الموجود فيما بين الأزواج يمكن أن يترك مكانه للفراق والنفور. وأسوأ أوانٍ لهذا هو الشيخوخة. أما الفراق الموجود في لحظات الشيخوخة للأشخاص الذين لم يسعوا لفهم ومعرفة بعضهم البعض طوال السنوات التي قضوها معاً، فهو الشعور بالوحدة الحزينة، والحسرة والندامة التي لا طائل منها.

وينبغي على المرأة مساعدة وتأييد زوجها في كل عملِ خيرٍ ومشروعٍ. وينبغي عليها أيضاً ألا تُقصّر في احترام أقاربه. وإن تطلب الموقف منها الإيثار والتضحية، عليها أن تتودد أكثر إلى أسرته.

ثم إن الحياة مليئة بالمفاجآت. فقد تأتي أوقات المصائب والأزمات. فيجب عليها حينئذ التواجد في أوقاتٍ كهذه إلى جانب زوجها، والسعي لتخفيف الحمل عن كاهله. وما أجمل ما قاله أجدادنا:

«كن السجادة، يطأها أربعين قدم لكي تكن تاج الرأس».

وثمة الكثير من هذه الأمثال والحكم. فلو أردنا أن نستوحي من هذه الكلمات، فيلزم القول في لحظات



الأزمة "لو يقطر فمك دماً، لعليك أن تقول شربت شراب التوت البري"، وينبغي أن يُكسر الذراع ويبقى في داخل الكم. " ينبغي أن تدخل عشها بفستان العُرس، وينبغي أن تملأ العُش بالسعادة، وينبغي أن تخرج من هذا الباب إلى سفر أبدي بكفنٍ أبيضٍ بلا دنس".

وبناءً على هذا لم يستطع سيدنا رسول الله ﷺ أن ينسى طوال عمره الصبر والتسامح والخضوع والتضحيات بالنفس التي قدمتها السيدة خديجة رضي الله عنها أول زوجاته وكان يذكرها بالخير كل وقت.

وجملة القول أنه ينبغي عليها أن تحب الناس لكي تُحَب؛ وينبغي عليها أن تحترم لكي تُحترم. وأن تضحي بنفسها لكي تلقى الإحسان والخير تجاهها. لكن ينبغي أن يحدث جميع هذا من المرأة أولاً في داخل الأسرة. ومن الطبيعي أن المرأة العاقلة تحبّب زوجها في نفسها وتكون هي التي تمهّد سبيل السعادة. وقد ورد ذلك في الحديث الشريف:

"أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة".[14]

١٤ الترمذي، الرضاع، ١٠/ ١١٦١؛ ابن ماجه، النكاح، ٤/ ١٨٥٤.



يخبر هذا الحديث الشريف عن الجائزة التي ستنالها الزوجة الصالحة في حالة إرضائها لزوجها، وأيضاً يتناول مكانة الرجل وأخلاق المرأة في الأسرة.

وينبغي على الرجل أيضاً أن يراعي أن يكون رزقه حلالاً عندما يعمل ويكدّ في الخارج، وعليه أن يتحرّى الدقّة في إطعام أطفاله وزوجته - التي لا تعلم مصدر المصروفات التي تُنفق - من الطعام ما لا شبهة فيه على وجه الخصوص.

وقد تمّت الإشارة في حديث شريف آخر إلى المعايير التي لا بد من تحرّي الدقة فيها عند اختيار الزوج حيث قال عليه الصلاة والسلام:

"كَرم الرجل دينه، ومُروءتُهُ عقله، وحَسبُهُ خُلُقُهُ".[15]

وينبغي على المرأة الصالحة ألا تحبّ وتحترم زوجها فحسب، بل تُظهر الودّ لأقاربه وأصدقائه في إطارِ معايير مشروعة. لأن تصرف المرأة هذا يُسعد زوجها. لكن هناك أمرٌ ضروري حساس في هذا، وهو اتباع حدود الخصوصية التي وضَّحها الإسلام. وينبغي على المرأة

---

١٥ أحمد، مسند، ١٤، ٣٨١/ ٨٧٧٤.

ألا تُدخل أقارب الشخص الذي عُقد نكاحها عليه عندما تكون بمفردها في المنزل. وهذا موضوعٌ حساس. وينبغي عليها أن ترتدي نظارة النية الطاهرة والحسنة تجاه أي شخص، كما عليها ألا تهدم حواجز الخصوصية أيضًا، فيجب على المرأة على وجه الخصوص أن تنأى بنفسها عن تلويث السمعة. لأن المرأة هي مثل الثوب ناصع البياض، فحتى أدنى شائبة فيها تلفت النظر إليها.

وكان سيدنا رسول الله ﷺ يُرغِّب في البعد عن مواطن الشبهات؛ حيث قال:

"**...من اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه...** ".[16]

ولذلك بينما كان رسول الله ﷺ يسير في الطريق مع إحدى زوجاته في ذات ليلة فلقيه رجلان من الأنصار همّ عليه الصلاة والسلام بتعريف ماهية المرأة التي بجانبه لهما قائلاً:

"**تعاليا إنها صفية بنت حيي**".

فقال الصحابيان ردًا عليه: سبحان الله يا رسول الله!.

١٦ البخاري، باب من استرأ لدينه، ٥٢.



فقال رسول الله ﷺ:

"إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئاً".[١٧]

وهكذا فقد نبّه عليه الصلاة والسلام على عدم ترك مجال للشبهة والشكّ عند الناس.

وينبغي أن تكون النساء دائمًا بجانب أزواجهن في الأعمال المشروعة، كي يجد أزواجهن السّلوى معهن، ويزداد شوقهم بفضل هذا. وكما هو معلوم فإن ذلك يزداد كلما تقاسما أعمال الخير والمعروف؛ ويقلّ عند تقاسم المصائب والأحزان، وعلى الأزواج ألا يغفلوا في أي وقت قط عن أنهم رفقاء الحياة لبعضهم البعض في رحلة الدنيا والآخرة أيضًا. وأنه بينما كان لكلّ واحدٍ منهم حياة مستقلة في البداية، فقد انخرطوا في حياةٍ مشتركةٍ وقدر مشترك بالزواج، وحينئذ ينبغي عليهم مراعاة مقتضيات الحياة المشتركة وأن يحافظوا على بعضهم جميعًا في ذلّات ومنحدرات الحياة. وإذا تعسر

---

١٧ انظر: البخاري، الإعتكاف١١/ ٢٠٣٨؛ مسلم، السلام؛ ٢٣-٢٥/ ٢١٧٥.



قدم أحدهم فينبغي أن يكون الآخر له سند وينبغي أن يمسكه ويرفعه.

وينبغي أن تنتبه المرأة إلى تصرفات زوجها وعندما تلاحظ أنه ثار غضبه عليها ألا تزيد من حجم المشكلة، وألا تصل بالأمر إلى حدّ الجدال. لأن المجادلات الحادّة والمستمرة والطويلة تصيب المودة والاحترام الموجود فيما بينهما بالجمود، وتُعرّض عُش الزوجية والأسرة إلى الخطر. ومن المناسب في مثل هذه المواقف أن تستمر النساء في أن يكنّ هادئاتٍ ومؤدباتٍ في تصرفاتهنّ تجاة أزواجهن. وفي النهاية سيتفهّم الزوج خطأه أيضًا وسيتصرف باحترام وعلى استحياءٍ تجاه زوجته. أما في حالة العكس فعلى الرغم من كونه مخطئًا، فإنه لن يستطيع أن يرى هذا الخطأ، وسيُلقي الشيطان الذي دخل فيما بينها في قلبيهما بذور العداوة والبغضاء.

والأمر الذي ينبغي أن ينتبه له الأزواج أيضًا هو عدم الثقة والغيرة التي تتجاوز الحد. وأحد الأشياء التي تجعل البشر أكثر قلقًا أيضًا هي انعدام الثقة الذي يُشَعر به تجاه أنفسهم. أما إذا ظهرت أسباب جدية جدًا في هذا الموضوع فقبل أن يتهم بعضهم البعض، ينبغي



عليهم محاولة الجلوس والتحدث. وإلا فعليهم عدم زيادة حجم المشكلات الصغيرة وتحويلها إلى مشكلة كبيرة ومعقدة.

ويمكن أن يصبح نسيان أو أخطاء البشر وثيق الارتباط بإدراكهم ورؤيتهم الداخلية التي نعني بها البصيرة تجاة بعض الوقائع. ولو ترى أي امرأة أن زوجها في حاجةٍ إلى استشارة، فينبغي عليها أن تجعله يشعر بأنها إلى جانبه بكل إخلاص ونية طيبة. وهكذا ينبغي عليها أن تسعى لقول أصوب ما تعرفه في أي موضوع كان. وينبغي أن تكون أقرب كاتم سرٍّ له. و ألا تنسى أن الرجل والمرأة هما عناصر تكمّل بعضهما البعض، وأن نساء سيدنا محمد ﷺ اللاتي هنّ أمهات المؤمنين قد أيدن سيدنا رسول الله ﷺ بآرائهن أحيانًا.

فعلى سبيل المثال في أثناء صلح الحديبية وبسبب عدم رضا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم تجاه بنود الصلح الذي عُقد، كانوا قد وقفوا متحفّظين عن تنفيذ أمر الرسول ﷺ. وقد غضب سيدنا رسول الله ﷺ لأقصى درجة من هذا. وقد واست أمُّنا أم سلمة رضي الله عنها سيدنا رسول الله ﷺ والتي كانت موجودة في تلك الأثناء، وأشارت



إليه بتنفيذ الشيء الذي أمر به دون انتظار أي شخص. لأنها كانت ترى أنه ما دام سيدنا رسول الله ﷺ لم يُنفِّذ بنفسه أمر الحَلْق والتحلّل من الإحرام؛ فيوجد احتمال الرجوع عن قرارات صلح الحديبية ولهذا السبب أيضًا كان ينتظُر الصحابة الكرام. لأنهم باعتبار البنية الخارجية كانوا لا يستطيعون أن يفهموا الحكمة من قرارات صلح الحديبية في تلك اللحظة وكانوا ينتظرون الرجوع عنها.

وفي النهاية حلق سيدنا رسول الله ﷺ وتحلل من الإحرام بناءً على مشورة أمّنا أم سلمة رضي الله عنها التي كانت في أقصى درجات الرجاحة، فانصاع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين رأوا هذا الأمر أيضًا، وتحللوا من الإحرام وتم حلّ هذه المشكلة دون التطرق إلى نتائج سيئة، كما أن سيدتنا أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قد واست سيدنا رسول الله ﷺ عندما تلقّى الوحي لأول مرة، وشاطرته أحزانه وهمومه، وقد حصلت على تقدير سيدنا رسول الله ﷺ من خلال مساعدته على مقابلة ورقة بن نوفل.

ويُذكر في التاريخ الإسلامي مثالاً يشبه هذا أيضًا يخصّ سيدنا عمر رضي الله عنه. كان سيدنا عمر رضي الله عنه في المسجد



قد أراد تحديد قيمة المهر من خلال قوله بأن النساء طلبوا مهرًا كبيرًا جدًا وأن هذا يُعسر الزواج. وفي تلك الأثناء نهضت امرأة من الصفوف الخلفية كانت تسمع سيدنا عمر في المسجد، واعترضت على سيدنا عمر ﵁ من خلال تلاوة الآية الكريمة (سورة النساء، آية ٢٠) التي تُشير إلى أن النساء سيمكنهم طلب المهر بالقدر الذي يريدْنه. وبناءً على هذا فهم سيدنا عمر ﵁ خطأه وبدّل رأيه قائلاً:

«أصابت امرأة وأخطأ عمر».[١٨]

لكن هناك ثمّة موضوع مهم كذلك سيتم الوقوف عليه. وهو أنه ينبغي على المرأة عندما تُدلي بمشورتها في أي موضوع كان أن تبتعد عن الكِبر حتى وإن كان رأيها صائبًا. وينبغي عليها عندما تكون في موضع إسداء رأي أو مشورة لزوجها في أي موضوع كان ألا تتجاوز نطاق إظهار الاحترام له، وألا تُظهر صفة انعدام الثقة به أو ينبغي عليها ألا تدخل في طور إسداء النصح له. لأن الرجال لا يستحسنون كثيرًا أخذ النصيحة من زوجاتهم.

١٨ علي المتقي، ١٦، ٥٣٦-٥٣٧/ ٤٥٧٩٦.



وخلاصة القول أن المرأة الصالحة تستطيع استخدام نعمة العقل التي منّ الله ﷻ عليها بها بشكلٍ حسّاسٍ جداً تجاه زوجها.

وينبغي على المرأة أن تملك المهارة أو الفن الذي ستأسر به روح زوجها.

ويوجد أمثلة كثيرة لمثل هذا في تاريخنا فقد اشترك كثير من نساء السلاطين عادةً في السلطة مع أزواجهن من خلال أسر قلوبهم، وبفضل هذا قد خلّفوا من وراءهم كثيرًا من الجوامع والمؤسسات الخيرية كصدقة جارية لهم. وبسبب خدماتهم هذه التي استمرت حتى الآن يُذكرون بالخير والرحمة.

وكذلك إنّ انتقاد أية امرأة لزوجها أمام أحد غيره، وسعيها لإسداء النصيحة له أمام الآخرين أيضًا هو منافٍ لقواعد الأدب. وكم هو خطأ إذا حدث ذلك، وينبغي عليها ألا تصيبه بالحرج أو تُشهّر بعيوبه!..

ويكون من الخطأ أي تصرف كهذا من الزوج أيضًا بنفس الطريقة. لأنه ورد في الآية الكريمة:

﴿...**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**...﴾ (البقرة، ١٨٧).



ومن الخطأ أيضاً أن تَمدح أيُّ امرأة رجلاً آخر أمام زوجها في حالة قصور وتقصير زوجها. وينبغي عليها ألا تشكو زوجها لأي شخصٍ قط حتى إلى أمها وأبيها، وعليها أن تتحرّى الدقة في عدم ترك زوجها في موقفٍ صعب أمام أي شخص.

كما ويلزمها السعي لحلّ ما فسد بينهما بأنفسهما بدلاً من الاستعانة في خلافاتهم الموجودة بينهما بأحدٍ آخر.

ونرى في محيطنا أن عدم احترام وتقدير بعض النساء لأزواجهن وكذلك عدم احترام الأزواج بزوجاتهن في بعض الزيجات يقبع خلف عجز الطرفين عن الحصول على السعادة. والحال هو أن الزوج والزوجة يمكن أن يصبحا جنة مع بعضهم البعض وجهنم أيضًا مع بعضهم البعض.

وهذه المرأة الصالحة لو أنها تراعي عبادة الله وتحصل على رضاه من خلال إجابة المطالب المشروعة لزوجها فهي حينئذ تكون في طريق الجنة أيضاً.



ما هي البشارات التي بشر بها سيدنا رسول الله ﷺ مثل هؤلاء النساء الصالحات؟

يقول سيدنا رسول الله ﷺ:

"ما استفاد المؤمن بعد تقوى اللّه خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله".[١٩]

حديث فيما معناه:

"المرأة الصالحة هي الطائعة لزوجها، والحاضنة لأطفالها".

" الدنيا متاعٌ وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".[٢٠]

ويروي ثوبان رضي الله عنه أنه، لما نزلت آية:

﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا في سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة، ٣٤)

كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. فقال بعض

---

١٩ ابن ماجه، النكاح، ٥/ ١٨٥٧.

٢٠ مسلم، الرضاع، ٦٤/ ١٤٦٧؛ النسائي، النكاح، ١٥؛ ابن ماجه، النكاح، ٥.

أَصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟.

فقال رسول الله ﷺ:

"أَفضله لسانٌ ذاكر، وقلبٌ شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه".[21]

مررنا ونمرّ بأزماتٍ ومصائب كثيرة جداً من الناحية المادية في يومنا الحاضر. ما الذي يجب الانتباه وتوخي الحذر فيه فيما يتعلق بشأن المال وعدمه، حتى لا يشوب هدوء وسعادة الأسرة أي ضرر؟

في البداية ينبغي على البشر أن يتعلموا السيطرة على أنفسهم، وينبغي عليهم ألا يسعوا لشراء كل ما يرونه بسعر يصيب حدود ميزانيتهم بالعسر. لأن هذا سيصير سبباً في الدخول تحت وطأة عبء زائدٍ عن الحد، وقلاقل وأزمات كبيرة. وبسبب بطاقات الائتمان التي انتشرت على مرّ الوقت في يومنا الحاضر، فقد وقعت كثير من الأسر التي فكرت في إمكانية امتلاك كل ما

21 الترمذي، التفسير ٩/ ٩/ ٣٠٩٤.



تراه بصورةٍ سهلة ورخيصة في دوّامة القرض والفائض بسبب النفقات غير المتزنة التي أُنفقت وأصبحت تعيسة. وبسبب هذا انهارت بيوت سعيدة كثيرة أو أشرفت على الانهيار. وحتى لو كانت الأحوال المادية للأزواج جيدة جداً ينبغي ألا يبعثروا ويبذّروا وأن يتجنبوا الإسراف.

وهذا تكليفٌ منوطٌ بالمرأة والرجل أيضاً. فلا قدّر الله يأتي يوم يُشرع فيه السؤال عن النفقات بشدة. وقد قال الحق سبحانه وتعالى في الآية الكريمة:

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء، ٢٦-٢٧)

أما إذا كان هناك مطعم ومشرب وملبس زائد عن الحاجة، فينبغي البحث والتحري عن ذوي الحاجات، وتقسيم الحق عليهم. لأن إرضاء الفقراء والمحتاجين وتلقّي دعاءهم يُبهج البيوت ويبارك في الأرزاق. وينبغي ألا يغيب عن الخاطر دائمًا أنه كان من الممكن أن نكون نحن في مثل حالهم، وأن يكونوا هم في مثل حالنا أيضاً.



أما معيارنا في الإنفاق فينبغي أن يكون طبقاً للآية الكريمة:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران، ٩٢)

وعندما يتم الإنفاق ينبغي أن تكون الأشياء التي ستنفق هي الأشياء القيّمة التي تحظى بقيمة في أعيننا، وتحتل مكانة في أعيننا أكثر من الألبسة التي ستلبس أو الأشياء التي ستبذل.

ويُذكر هكذا مجازاً في الحديث الشريف:

"إنَّ الصدقة تقع في يد اللَّهِ قبل أن تقع في يد المُصَدَّقِ عليه".[٢٢]

ويجب أن نذكر ذلك الأمر على وجه الخصوص أيضاً وهو أن، رعاية الإنفاق المتوازن في حياة الأسرة هو وظيفة منوطةٌ بالمرأة في بداية الأمر. وفي حالة أنها تبنّت أمر الاعتدال والتوازن في أمورٍ مثل الملبس والمأكل والمشرب، بالإضافة إلى توخّي الدقة في الإسراف إلى أقصى درجة، فتصير الوفرة والبركة والهدوء في الأسرة

٢٢ علي المتقي، ٦، ٣٧٧.

حتى وإن كانت مصادر دخلها ضعيفة. ومن أجل هذا فإن البدء بالبسملة عندما تطهو الطعام، واستخدام مقادير الطعام بقدر الاحتياج، وعدم الانسياق وراء طلبات تتجاوز الحدّ سترهق ميزانية الأسرة، وهي سلوكياتٌ تشكّل أفضلَ مصدرٍ لأساس السعادة في الأسرة. وفي يومنا هذا إن إلقاء طعامٍ بالأطنان كل يوم في القمامة بسبب عدم مراعاة هذه المعايير، هو حقيقة مؤلمة قضت على بركتنا.

والحال هو أنه ينبغي على أي سيدة مدبّرة الاعتناء أيضًا بأمر تقدير تلك الأمور مثل تأمينها دخول كل شيء إلى البيت وفقًا لمعياره، وليس الطعام فحسب. لأن فساد أي شيء دون استهلاكه، والتسبب في إلقاءه في القمامة هو شكلٌ من الإسراف يمكن أن تتجنبه النساء فقط في حياة الأسرة.

هكذا كانت النساء في ما مضى ماهرات، وفي منتهى الدقة في أمر حياكة الملابس القديمة وإصلاحها وتجنّب الإسراف. أما اليوم فإن معظمهن يرجحن عند أدنى تمزّق في الملابس شراء الجديد فورًا. وهذه أخلاق إسرافٍ سيئة جداً.

وجملة القول أن آخر أمرٍ أردتُ أن أذكره من ناحية وظائف النساء في أي أسرة سعيدة، كما شرحنا قبل ذلك:

هو حقيقة أن: «أنثى الطير هي التي تصنع العُش».

وفي حالة أن النساء قمن بمهامهنّ وواجباتهن التي تقع على عواتقهن بأي شكل، وكن على علم بجوانب هذه الحقيقة فذلك يعني تحوّل بيوت الأَسرة إلى جنّة. وبعد ذلك يقع على الأزواج أيضاً إدراك قدر هذا والحفاظ عليه.



الأمور التي ينبغي على الرجال مراعاتها في الأسرة



إن إرشاد النساء والأطفال من الناحية الدينية والأخلاقية، وتربيتهم بشكل سيصبح سبباً في سعادتهم في الدنيا والآخرة، هو من أهم الواجبات المنوطة بالرجل.

الأمور التي ينبغي على الرجال مراعاتها في الأسرة

ما هي الأمور التي ينبغي على الرجل مراعاتها في الأسرة؟

إن استقرار سعادة الأسرة على أسس سليمة، تعتمد على إدارة أبٍ صالح. ومعنى أب صالح؛ يعني الأب الذي يقوم بواجباته في أحسن شكلٍ مثل إعاشة الأسرة وتربيتها والمحافظة عليها ورعايتها. وإلى جانب هذا أيضاً يجب أن يكون واسع الاطلاع ويقظاً وذا خبرة وماهراً وعلى وجه الخصوص متديناً وعلى خلقٍ طيب.

يا سيدي ولو نوضح أكثر قليلاً هذا الموضوع، ما هي الأمور التي ينبغي على أي أب تأمينها من أجل أسرته؟

عندما يقرر الرجل الزواج، فإنه في حاجةٍ إلى مصدر رزقٍ سيوفر من خلاله الطعام والشراب من الحلال لنفسه ولأسرته التي تحمَّل مسؤوليتها (مهامها). لأن ديننا العظيم قد حمَّل الرجل تكاليف تأمين معيشة



الأسرة ولا شك قط في أنه قد أزاد حصته في الميراث من أجل هذا. وبهذا الاعتبار ينبغي على الرجل أن يُقْدِم على الزواج إذا ما ملك أيّ مصدرٍ للرزق. أي أنه ليس من المناسب أيضاً أن يضطهد أيُّ إنسانٍ لا يستطيع توفير مصدرٍ للرزق بنفسه الآخرينَ. ومع هذا في حالة إذا ما صارت إمكانياته الموجودة في يده ضعيفة، يساعد الله الذين يفكّرون في الزواج من أجل أن يحيا حياةً دينية صحيحة جداً. وقد رغَّب الحق سبحانه وتعالى في الزواج من خلال أنه ذكَّر بأن فضله واسع فقد قال ما يلي:

﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ الله مِنْ فَضْلِهِ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ (النور، ٣٢)

وبناءً على ما فُهم أيضاً من هذه الآية الكريمة، فإنه ينبغي تزوج الذين لديهم القدرة على الزواج في داخل المجتمع فوراً، وكذلك يجب تزويج الذين ليس لديهم القدرة على هذا حسب إمكانياتهم. وهذه هي وظيفة المجتمع الإسلامي. وهو بابُ خيرٌ كبير. وفي ظل هذا تتم المحافظة على عفّة المجتمع والأفراد.

ثم إن العفة هي وصف فضيلة مُنحت للإنسان. ولا يمكن التفكير في العفة عند المخلوقات الأخرى. لكن الإنسان يهوي إلى مستوى المخلوقات الأخرى لو تَغِيْبُ صفته الإنسانية هذه.

وبلا شكّ قط إن الذكاء والقوة والقدرة والخصائص والميول التي وهبها الله لكل إنسان مختلفة تماماً. ولهذا السبب ظهرت النِحل والوظائف المختلفة. ويوجد هناك حاجة إلى كل وظيفة وإلى أرباب هذه الوظائف الضرورية من أجل استمرار نظام المجتمع. ففي داخلِ كل مجتمع سيكون القصاب وعامل النظافة أيضاً والطبيب و المعلم...

وهكذا ينبغي على كل شخص السعي لتأسيس أسرة وفقاً لإمكانياته. وينبغي أيضاً أن يكون هناك توافقٌ في الأوضاع الاجتماعية للطرفين بينما يتمّ تأسيس هذه الأسرة. وهذا يعني التوافق في السلوك الاجتماعي والعلم والتقاليد في نفس الوقت وليس في الإمكانيات المادية فحسب. وإن يكن الأمر على هذا النحو لن تحدث هناك تناقضات ستهز العُش فيما بين الرغبات المتبادلة، كما ويتحقق الإتفاق بسهولة أكثر.



فعلى سبيل المثال إن أي رجل يتزوج دون أن يكون ثمة تكافئاً وتوافقاً بينه وبين زوجته لا يستطيع أن يعيش الحياة في نقطة مشتركة مع زوجته، ويمكن أن يصبح سبباً في خسارتها، وقد يكون من المكن الحيلولة دون الخسائر المحتملة في ظل الكثير من المودة المفرطة في مثل هذا الوضع. إلا أن هذه الأوضاع هي استثناءٌ بقدرٍ يكاد يكون معدوماً. ومن أجل هذا قد غدا الانتباه للتوافقٍ فيما بين الأسر واعتباراه مبدءً للزيجات نافعاً وصائباً جدًا في كل وقت.

وهذا يعني أنه من السهل أكثر تفاهم وتمازج البشر القريبين من بعضهم البعض من حيث المشاعر الحسية والغايات والرغبات بعيداً عن الإمكانيات المادية.

ومن ناحيةٍ أخرى إن الأوضاع المادية للأسر يتم تنظيمها طبقًا لمستويات عمل ودخْل الرجل. وليس من الحق مطالبة الأم والأطفال أي أب كان بمطالب فوق مستوى قدرته ودخله. والأب مكلفٌ بتلبية احتياجاتهم "**المسكن، القوت، والملبس**" في إطار الإمكانيات التي في متناول دخله.

وينبغي أن يتم اختيار المسكن سواء كان إيجاراً أو تمليكاً، وأن يكون متّسعاً بما يمكن أن يأوي أفراد الأسرة براحة، وأن يكون بين جيرانٍ طيبين وفي حيٍ جيد على قدر الإمكان. ويصير من الظلم لأفراد الأسرة اختيار الإقامة حيث يوجد الجيران السيئون وعديمو الأخلاق وفي الأماكن القذرة وغير المناسبة للصحة في حالة القدرة. وهذا الخطأ يهيء مناخاً مع الوقت للإصابة بالضعف الأخلاقي ولهدم عُش الأسرة.

أما معيار القوت، فيكون طبقاً للدخل الذي في متناول يد الرجل من عملٍ متوازن. وينبغي عدم التكاسل في هذا الأمر وعدم الدخول تحت حملٍ زائدٍ عن الحدّ أيضاً.

ومهمة الرجل هي تأمين القوت في إطار هذا التوازن. وينبغي أن يُؤسس هذا التوازن في شكل عدم الانحراف إلى الإسراف في الإنفاق لكن مع عدم الاقتصاد في الإنفاق زيادة عن اللازم أيضاً.

ومع الأسف فإن الإسراف من أكبر المشاكل في يومنا الحاضر. وكثيرٌ جداً هم الأشخاص المهملين جداً أمر الإسراف. بيد أنه ينبغي على الرجل تجنب الإسراف



كذلك حتى وإن كان غنياً. وفي حالة العكس يصبح تعيساً تحت وطأة حمل الإسراف الثقيل.

والطعام الذي يكفي للبقاء على قيد الحياة يعتبر فرضاً، والطعام على قدر الحاجة مباح (أي ليس ذنباً)، لكن ما إن زاد عن الحد أصبح محرماً. وقد صنَّف أولياء الحق سبحانه وتعالى الإسراف في الطعام طبقاً لدرجات تقوى القلوب على النحو التالي:

- في الشريعة، الطعام بعد الشبع يكون إسرافاً.
- في الطريقة، الطعام بقدر الشبع يكون إسرافاً.
- أما في الحقيقة، فالطعام مع الغفلة عن وجود الله يكون إسرافاً.

وينبغي على الآباء أن يكونوا حساسين ويقظين في أمر الطعام والفاكهة التي يحبها العيال كبيرهم وصغيرهم. وينبغي رعاية الأطفال الذين لا يستطيعون طلب أي شيء بسبب الخجل أو التضييق عليهم وعلى وجه الخصوص الأطفال من الإناث في داخل المنزل.

وينبغي التصرف بكرم في إطار المعايير المشروعة عند إكرام الضيوف. وهذا بمقتضى الفضيلة الأخلاقية والكرامة الإنسانية أيضاً.

ويجب على رب المنزل في موضوع الملبس تأمين ثوبين على الأقل واحد للشتاء وآخر للصيف لنفسه ولزوجته ولأطفاله. وتفصيل ثوبٍ آخر من أجل إرتدائه في أيام السرور مثل أيام الجمع والأعياد ومراسم الزفاف مشروعٌ ومباح أيضاً، أي ليس ذنباً.

ولم يمنع الدين الإسلامي التزين بقدرٍ إلى حد ما أيضاً. إلا أنه قد مُنع دينياً ارتداء الملابس الفاخرة بدرجةٍ مفرطة، والتكبر والغرور بهذا، والتبختر والنظر إلى البشر بتكبر.

وقد حُرم على الرجال ارتداء الملابس الحريرية ولبس الزينة مثل الخاتم والساعة والأنسيال المصنوعة من الذهب وذلك من أجل الزينة. لأن استخدام أدوات الزينة المخصوصة للنساء من طرف الرجال أيضًا يسبب ظهور نقاط ضعفٍ متنوعة من الناحية الأخلاقية.

وينبغي الوقوف بدقة على هذا الأمر أيضاً في ملابس الأطفال الذكور. وإنه لخطأ كبير على وجه الخصوص إلباس الأطفال الإناث الملابس المكشوفة والملابس التي تشبه ملابس الأطفال الذكور بوجهاتِ نظرٍ جاهلةٍ

من خلال قول " ليحصلن على رغبتهن". ومع الوقت تتحوّل هذه الملابس إلى إدمانٍ، ولا يستطعن تركها إذا طُلب منهن وفي النهاية تتسمم دنيا الأطفال الداخلية.

ومن أجل ذلك ينبغي إلباس الأطفال الإناث الحجاب في وقت التعوّد، وينبغي شرح أهمية هذا لهن تماماً. وفي حالة العكس تُصبح التوجهات والإجراءات الخاطئة ملوثاً لشرف واحترام الأنوثة في كل وقت. وينبغي أن يُدرك وألا يُنسى أن الحجاب هو وسيلة للجمال والاحتشام من أجل المرأة إلى جانب كونه وسيلة لحماية عفتها. إن النساء اللاتي ارتدين الحجاب بوعي وعلى النحو المطلوب يصبحن عنواناً للوقار والقدر من أجل بيئاتهن في كل زمان. ويستيقظ في القلوب شعور بالاحترام تجاههن تماماً.

إلى ماذا ينبغي أن ينتبه الرجال في تربية أُسَرِهم؟

إن إرشاد النساء والأطفال من الناحية الدينية والأخلاقية، وتربيتهم بشكل سيصبح سبباً في سعادتهم في الدنيا والآخرة، هو من أهم الواجبات المنوطة بالرجل. وبناءً على هذا تم بيان هذه المهام في القرآن

الكريم على النحو الآتي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم، ٦)

وإطار هذه المهمة يشمل جميع الدولة مرحلةً مرحلة بداية من الزوجة والأطفال وحتى الخدم الموجودين في المنزل والجيران والأقارب والمدرسة حسب موقع والإمكانيات الموجودة لدى كل شخص. لأن الأسر تتأثر أيضاً ممن حولها كما أنها تشكل البيئة الخارجية الموجودة في داخلها.

وينبغي على كل أب أن يعطي أهمية لتعليم أفراد الأسرة القرآن الكريم، و أن يُحث أبناءه على العبادة.

ومن ناحية أخرى من الضروري تعليم السلوكيات والأصول والآداب أيضاً فيما يتعلق بالدنيا والآخرة.

وفي هذا الإطار ينبغي على وجه التأكيد تعليم أبناءه دروس الكتابة عندما يصلوا إلى سن المدرسة، وعقب هذا دروس القرآن الكريم أيضًا مع إتمام التعليم الابتدائي. وعلى وجه الخصوص يكون هذا أوجب من



أجل الأطفال الإناث. كما يجب ألا يُنسى أن أفضل ميراث يستطيع الأم والأب أن يتركوه لأطفالهم، هو ميراث الآخرة. فما أسعد الأمهات والآباء الذين يقومون بتحفيظ أطفالهم القرآن الكريم، والذين يزينوهم بثقافة القرآن!.. ويُذكر في الحديث الشريف:

"من قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألبس والداه تاجا يوم القيامة، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟".[٢٣ ٢٤]

وفي هذا اليوم تُبذل المساعي الكثيرة من أجل تعلم لغة أجنبية، ولا يُمتنع أيضاً عن أي تكاليف. وإنه لَوَضْعٌ مَا أحزَنَه إهمال دروس القرآن الكريم – وحتى الاستخفاف به – أيضاً في مقابل هذا، وترْك أبنائنا محرومين من ذلك الكلام الإلهي ومن روحانيته. والحال هو أنه ما أجمل الفوز بترك ذرية طيبة سيؤمّنون باباً يستفاد منه من أجل حياتنا المعنوية بعد الموت، وسيدعون لنا من بعدنا.

---

٢٣ أبو داوود، الوتر،١٤/ ١٤٥٣.

٢٤ قد ذكر «جونانلي محمد أفندي» هذا الحديث بمناسبة جمعية حفظ القرآن الكريم.

وينبغي على أطفالنا أن ينشّأوا واعين مناخ القرآن الكريم المليء بالبركة والفيض، وعلى وجه الخصوص القصص المتعلقة بالأنبياء والرسائل الإلهية الموجودة في هذه القصص.

ومن الأوجب في آخر ذلك الزمان تقوية أبنائنا بقوة الإيمان هكذا من أجل حماية أنفسهم من هوَّات الرزيلة ومن آفة عدم الالتزام الديني.

ومن أجل هذا ينبغي التركيز على سيرة رسول الله ﷺ أي على حياته المباركة والنموذجية إلى جانب تعليم القرآن الكريم. لأنها أفضل تفسير حيٍّ للقرآن الكريم بحياته النوذجية والفريدة.

ومن أجل الاندماج مع حياة سيدنا رسول الله ﷺ وإمكانية الاقتداء بسنته حقاً، كما يجب السير على نهج رسول الله ﷺ من حيث الحياة والأخلاق أيضاً، والسعي للتشبه به.

إن لتقصيرِ الآباء والأمهات في واجبهم تجاه أولادهم، وعدم تقديم التعليم المعنوي اللازم لهم، يشبّ الأبناء نور الأعين بعقليةٍ مادية على أنهم جيل وسائل الإعلام



الذي ينشر الشرّ. وكأن التلفاز يرضعهم، ويحدّد شكل شعرهم، ويرسم مشاعرهم وأحلامهم. وعندما يصبح الأمر هكذا يغدو الأم والأب خدماً لتحقيق رغباتهم فحسب.

إنَّ أوضاع أطفالنا الذين سقطوا في هوَّات البرامج السيئة وغير الأخلاقية بالإمكانيات ولا سيما التلفاز والإنترنت إلى آخره يبعث الأسى. والرضا عن هذه الأحوال التي تمزّق القلوب ما هو إلا إنذار لعذاب لا مبرّر لدفعه من قبل الأم والأب، وأبسط ما يؤسف أن يحفظَ طفلٌ مسلم قصص حياة الكثير من الرياضيين والفنّانين المحليين والأجانب ويتخذهم مثلاً له، ويتخبّط من أجل التشبّه بهم، ومع ذلك لا يعلم حتى أسماء الأنبياء الذين هم مرشدي سبيل الحقيقة والسعادة ولا يعرفهم. وقد نشأ غريباً عن أخلاقهم الحميدة، فهو لايستطيع أخذ العبرة من الرسائل القرآنية التي في حقهم. ومدلول هذه الحقيقة المحزنة أن الأجانب هم الذين يربون أطفالنا وليس نحن. أي أن عبء تربيتهم المادية يقع على الأم والأب أما توجيه أرواحهم فيعود إلى الأجانب. فيعاني الأمهات والآباء كلفته وتعود



منفعته إلى الأجانب. وكلما أمسكوا في أيديهم هذا التفوّق الثقافي والتعليمي فهذا الحال سيؤدي غدًا إلى تفوّقات أخرى من طرفهم علينا لا سمح الله.

ومن أجل ذلك ينبغي علينا أن نختم اختبارنا الموجود أمام التاريخ بنجاح جديدٍ عند تدريب أولادنا فيما بين أكثر الحروب الثقافية والنزاعات التعليمية قسوةً. وينبغي علينا تربيتهم وفقًا لشرفنا وكرامتنا.كما ويجب على أولادنا وأجيالنا أن يزدهروا وفق جذورهم الأصلية ويقفوا وفق جذوعهم ابتداءً من العالم الروحي لهم ووصولاً إلى اختيار لباسهم.

لقد وضع الإسلام بعض القواعد حول الملابس المناسبة لكرامة الإنسانية. وأحد هذه القواعد ألا يكون الملبس ضيقاً أو شفافاً بدرجةٍ تظهر ملامح الجسد. فعندما رأى رسول الله ﷺ أن أسماء أخت السيدة عائشة ترتدي ملابس رقيقة أدار رأسه وقد قال الآتي:

"يا أَسماءُ إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أَن يرى منها إلا هذا". وأشار إلى وجهه وكفيه.[٢٥]

٢٥ أبو داود، اللباس، ٣١.

وهذا الأمر من القواعد الأساسية التي وضعها الإسلام من أجل منع السلوكيات التي تجرح شرف وكرامة الأنوثة. وإن عدم إسقاط الظلّ على هذه الفضيلة والشرف الذي تملكه النساء باعتبار خلقتها هو أحد الأمور التي ستَرعى بدقةٍ الطرفين الرجل والمرأة معاً.

ومن ناحية أخرى فإن فصْل غرف الأطفال الذكور والإناث قبل الوصول إلى سن البلوغ، هو أحد الأمور التي سيتم الانتباه إليها من أجل إقامة الرشد والشخصية المعنوية لأطفالنا.

ما هي المسؤوليات التي تجب على الرجال فيما يتعلق بالمحافظة على الأسرة؟

ينبغي على الرجل حماية أسرته من كل أنواع الشرور. ويجب عليه إبعاد أفراد الأسرة عن الأصدقاء والزيارات والتنزهات التي ستفسد القيم الدينية والفضائل الأخلاقية، ومن الإعلانات الفاسدة الموجودة في التلفاز، ومن الكتب والمنشورات الرديئة.

وخلاصة القول أن مهمة حماية الأسرة من الداخل والخارج قد أُسند إلى الرجل تماماً.



ما هي الأمور الأخرى التي يجب الانتباه إليها أثناء قيادة وإدارة الرجال لأسرهم؟

يلزم الرجلَ الانتباهُ للحدود الدينية، كما ينبغي عليه السعي لعدم التواجد في أماكن الاختلاط التي يعمل فيها الرجال والنساء معاً إذا لم يكن مضطراً لذلك. وإذا اضطر للعمل في أماكنَ كهذه خارجة عن إرادته فينبغي عليه الحذر في نظره وحركاته، كما ومن الضروري مراعاة الآداب والحساسيات التي أمر بها ديننا.

إلى جانب أنّ عليه ألا يكون وسيلة لمحيطٍ عملي مختلطٍ إن كان هو في موقع رئيس العمل. وينبغي عليه الانتباه لعدم السقوط في الأخطاء من خلال تنظيم أزمنة وأماكن مختلفةٍ للعمل من أجل الرجال والنساء إذا لزم الأمر. وعليه على وجه الخصوص السعي لاختيار الأشخاص من الجنسين الذين سيتواجدون على انفراد في مكان العمل أو في محل العمل، والابتعاد بصفة قطعية عن تشغيل سيدة سكرتيرة وما شابه ذلك لأسباب وأعذار مختلفة. إن هذه السلوكيات الخاطئة مع الأسف في يومنا الحاضر هي حقيقة مؤلمة أدت إلى وقوع حالات الطلاق والانهيارات العائلية.



ويستطيع الرجل العاقل ذو الدراية أن يترك عقله على عتبة الباب عندما يأتي إلى منزله، وعاطفته عندما يدخل إلى موقعه العملي.

وينبغي عليه أن يعفو ويتسامح عن الأخطاء والتقصيرات الموجودة فيما يخص الأمور الدنيوية في علاقاته مع عائلته وأطفاله، وينبغي عليه أن يتقرب إليهم بالرحمة والحلم. وينبغي عليه أن يُخفي جميع أسرار وعيوب زوجته عن كل شخص.

أما في حالات التقصير والإهمال الديني فينبغي عليه الاقتراب بجدية. و أن يستمر بعزيمة ضد السلبيات مثل الجهل والكسل. ولا بدّ من أن يُظهر الاهتمام في كل حالٍ لإكمال حالات القصور في العِلم والعمل الديني لزوجته وأطفاله. ومن الضروري بذل الجهد والسعي، والاستفادة من المربين ذوي النضج والجدارة في هذا الصدد. وهذه الأمور من بين واجبات الآباء أيضاً.

وينبغي على الرجال أسْرِ قلوب عوائلهم بالكلمات الناعمة والرقيقة تجاه أسرته في داخل المنزل، و ألا يبعدهم عنه بوجهٍ عبوسٍ وفظٍّ.



وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ:

"خِيارُكُم خِيارُكُم لِنسائِهِم".[٢٦]

وينبغي عليه أن يتشاور مع زوجته في موضوع إدارة المعيشة والمنزل و ألا يحوّل إليها الأمور التي فوق قدرتها. كما ويجب أن يكون مساعداً لزوجته في تربية الطفل من حين إلى آخر. لأن الأطفال وشؤون المنزل أيضاً تُرهق النساء كثيراً ليلاً ونهاراً. وكونه مساعداً لهم في هذا الحمل الثقيل، سيصبح سبباً في زيادة المودة والتفاهم فيما بينهما.

ويجب الدعاء لزوجته أمامها ومن خلفها.

ويلزمه عدم الخروج في سفرٍ بعيدٍ عن زوجته بدون خبر. وينبغي عليه أيضاً ألا يُحضر إلى المنزل ضيوفاً أجانب لا تعرفهم دون أن يخبرها. وألا يطلب من زوجته الخروج أمام غير المحارم وخدمتهم على غير المعايير المشروعة. وينبغي عليه أن ينأى بأسرته عن أماكن الاختلاط على قدر الإمكان.

---

٢٦ انظر: الترمذي، الرضاع، ١١؛ أبو داوود، السنة، ١٥؛ ابن ماجه، النكاح، ٥٠/ ١٩٧٨.



إلى ماذا سيصل الرجال الذين يحملون على عواتقهم مسؤولية قيادة وإدارة الأسرة بكل ما فيها من المعاناة والعبء عندما يقومون بواجباتهم هذه بحق؟

لقد جعل الدين الإسلامي الأسرة أمانةً عند الأب، وقد أعطاه كل الوظيفة والصلاحية أيضاً في أمر تلبية جميع احتياجات الأسرة المادية والمعنوية. ولهذا السبب قد تمّ تخصيص موقع الرئاسة في الأسرة للأب.

إن الأب هو شمسٌ في سماء السعادة؛ والأم هي قمر جعل لمعان القلب وحجاب العفة هالة فضية عليها؛ والأطفال أمثال نجومٌ كاللؤلؤ في سماوات تلك الفضيلة.

إن كل أب يُوقِفُ عقله وقوته وإرادته وعلمه وخبرته في تربية ورفاهية وكمال أسرته، يحقّ دون شك تبجيلُه وإطاعته وحبّه واحترامه بشدةٍ. ولا يليق تجاهه عدم الطاعة والعصيان والجحود والكلمات البذيئة.

ولهذا السبب قال سيدنا رسول الله ﷺ:

"رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد".[27]

27 الترمذي، البر، ٣/ ١٨٩٩.



وينبغي على الزوجة والأطفال في الأسرة ألا يُعرضوا عن طاعة وتبجيل الأب الموجود في موقع رئيس المنزل، إذ أن اليوم الذي يُحرم فيه مِن الأب يغدو مساؤه الذي فيه حرمان الأكثر تعساً. وحيث يُشعر فيه بأهميتهم من أجل الأسرة عندما يفقدون أكثر، ولهذا السبب ينبغي معرفة قيمتهم وهم سالمين على قيد الحياة، وإطاعة أوامرهم المشروعة من خلال السعي لنيل دعاءهم، وعدم التقصير فيما يستحقونه من الاحترام.



الأمور التي ينبغي على الرجل والمرأة مراعاتها معاً في الأسرة



أرحم الأمهات والآباء، هم الذين يعدُّون بعضهم البعض وأبنائهم لعبادة الله.

يؤسِّس كلٌ من الرجل والمرأة عُشاً معاً، ويقرران لمَّ شمل حياتهما ومشاطرة الاشتراك في كل شيء سيمكنهما تولي مسؤوليته. فما هي الأمور التي يلزم مراعاتها من الطرفين بينما يتقاسما الحياة؟

من اللازم مراعاة نقطتين هنا:

- تقاسم السعادة والسرور.
- تقاسم أعباء وأزمات الحياة.

ينبغي أن يستمر التقاسم المشترك الذي عَنينا به الاشتراك في كل حالٍ من الحياة أي في مناخٍ من الروحانية والمودة. وينبغي تقاسم الأزمات والمآسي والأحزان والابتلاءات أيضاً كما يتمّ تقاسم أحوال السعادة والسرور؛ وينبغي أن يَدْعَم الطرفان بعضهما البعض في كل زمان، وأن يكونا مثل اليدين يغسل بعضهما بعضاً وأن يشكّلا من أنفسهما أقرب مصدرِ عزاءٍ لبعضهما البعض بالتساوي.



ولأن الحياة لا تستمر على سحب وردية في كل وقت. فينبغي ألا يغيب عن الخاطر أيضاً منحدراتها ومطباتها وعواصفها ومنعطفاتها وعقباتها. وأن الأيام القادمة ستكون مملوءة بالمجهول والمفاجآت. فالقدر هو سرٌّ إلهي. وبسبب وجهة النظر هذه، فإن أعظم مصدر للقوة والتأييد هو الارتباط والإيمان بالله أولاً وقبل كل شيء. وأن التأييد الكبير الثاني هو الأزواج المرتبطين ببعضهم البعض أيضاً.

فمن الضروري الانتباه إلى أن البشر عديمي الحيلة والمنهَكين إن لم يستطيعوا أن يجدوا الدعم الذي ينتظرونه من داخل الأسرة في المصائب والكوارث الكبيرة التي تحلّ على رؤوسهم، يمكن أن يتعرّضوا لسقوط وانهيار كبير. إلا أنه يتمّ تفادي المصائب التي تحلّ برؤوسهم بسهولة في معيار سلامة الأسرة إذا كان ذلك في الأعشاش التي تتكون من الأفراد الناضجين والواعين روحاً.

إن سلامة الأسرة هو مرتبط أيضاً بأن تكون أهلاً للمعيشة المتبادلة على وجه الخصوص بصفة متوازية للنضج الروحي. وهذا هو أهم شرط لكثير من النتائج



الحسنة والطيبة. ويقول حضرة مولانا:

«اكتسبتْ الوردةُ تلك الرائحةَ الجميلة من أجل أنها تعايشت مع الشوك. واسمع هذه الحقيقة أيضاً من الوردة. وانظر ماذا هي تقول: «لماذا يجب أن أقع في الغمّ من أجل أنني وُجدت مع الشوك، ولماذا يلزم أن أُحزن نفسي؟ أنا التي حصلت على الضحك من أجل أنني تحمّلت صحبة ذلك الشوك ذو الطبيعة السيئة. وبتلك الوسيلة تمكّنت من تقديم الجمال والروائح الطيبة للعالم...»

وهذه الوردة تقول لنا أيضًا أن:

« كن أنت أيضًا مثلي!»

إلى ماذا ينبغي الانتباه من أجل إمكانية تأسيس بنية أسرة سليمة وقوية هكذا ؟

أولاً وفي البداية إن السعادة في الأسرة هو أمر سيمكن تحقيقه لكلا الطرفين. ويُشكِّل أساس هذا:

١. التعايش بصورة طيبة معاً.

٢. التصرف بتفاهم ونضج.

٣. أن يتحلّى الطرفان بالتضحية.



وهذا كله ممكن أيضاً على وجه الخصوص بالفضيلة الأخلاقية والدراية والذكاء والإخلاص والمشاعر المتبادلة.

ومع ذلك ينبغي أن تتواجد تلك الخصائص الخمسة في الطرفين من أجل التعايش بصورة طيبة، والتي أطلق عليها القدماء عبارة "**حُسن المعاشرة**":

١. التقوى.

٢. الفضيلة.

٣. المودة.

٤. الرحمة.

٥. الإخلاص.

إن ضرورة وجود هذه الأوصاف أيضًا في الرجل وأيضًا في المرأة بصورة متبادلة، يظهر بشكل واضح كذلك أيضًا بواسطة فواجع الأسرة التي تُعاصر كل يوم.

إن التقوى والفضيلة في الأسرة هي كما في المجتمع أساس جميع الأوصاف الطيبة. إن البيوت التي عايشت الدين بشكل صحيح وطيب والتي ظهرت بها الفضائل والمزايا الأخلاقية تمنح سعادة الدارين للبشر.

وعلى العكس في الأحوال التي يُبتعد فيه عن الدين و يُنجرف فيها إلى الضعف الأخلاقي تصيب المجتمع جراحٌ كبيرة، كما سيصاب أفراد الأسرة بالضرر من هذا. ومن اللازم أن يُفهم هنا موضوع التقوى فهمًا صحيحًا. ولا يمكن أن يكون الإنسان تقياً وفظاً وسيئ الطبع وبلا ذوق في الوقت نفسه. لأن الدين الإسلامي هو عبارةٌ عن التأدب واللباقة والنظافة. أي هو الأدب الحسن، هو الأدب الحسن، هو الأدب الحسن... وكما يقول الشاعر:

كان الأدب تاجًا من نور الهدى

فارتدي التاج وأْمَنْ من كل البلى

ويقول حضرة مولانا:

«انحنى عقلي إلى أذن قلبي وسأل:

- ماهو الدين؟

فأجاب قلبي بذلك أيضاً:

- الدين هو عبارة عن الأدب».

أما بخصوص المودة فهي أيضاً خميرة وغذاء الأسرة. وفي الأحوال التي تتناقص فيها المودة وتبلى بشدةٍ تبدأ الأسرة بالتخلخل. وينبغي أن تكون المودة



لدى كلا الطرفين. لأن المودة تتحول إلى مساعدٍ لعمليةِ التأثير على القلوب مثل الأغشية المتحدّة الموجودة في الفيزياء. إن الشخص يُحَب بقدر ما يُحِب. وكلما زادت المودّة من الطرف الآخر، ينبغي الرقة أيضًا في التصرفات والكلمات، وينبغي التحلّي باللطف والرقة والاحترام. ويجب ألا تتحول المودة إلى عدم الاحتشام قطعاً، حتى أنه يُراعى دائماً التواج ضمن إطار الأدب. ومن الضروري أن تكون المودة والرحمة وجميع المشاعر المشابهة في غاية الاعتدال. فكما أن إفراط المودة يسبب ضرراً، فإن حرمان الذين نحبهم من المودة تماماً، يمكن أن تؤدي بهم إلى إشباع هذه المشاعر في أماكن أخرى أيضاً.

إن تجاوز المودة عن الحدّ وصيرورتها في حالةٍ من الحب الأناني الحصري، يصبح سبباً في تقليلها وإهمالها، كما يؤدي إلى الغيرة والتضييق الشديدين. وهاتان الحالتان كلاهما آفة تهدد عُش الأسرة.

وبنفس الشكل ينبغي أن تكون الرحمة بعيدةً عن الإفراط والإهمال أيضاً. فإن الإفراط في الرحمة يصيب الإنسان بالضعف، ويؤدي به إلى أن يكون متسامحاً حتى



تجاه الأخطاء الضارّة والمدمرة. وهذه ليست رحمة بل هي ضعف بالقلب. ومن ناحية أخرى فإن قلة الرحمة تصيب القلب بالقسوة أيضاً، وتجرّ الشخص إلى الظلم والطغيان. أما الرحمة التي هي في قوامٍ طيبٍ وثابتٍ وباعتدالٍ، تصبح مثمرةً وتجلب السعادةً إلى العش. وأكثر الأمهات والآباء رحمةً هم الذين يوقِظون بعضهم البعض وأبنائهم لصلاة الصبح والذين يعدُّون قرة أعينهم لسعادة الآخرة من كل ناحية.

أما بخصوص الإخلاص، فهو أيضاً أحد الأمور التي يلزم فيها إظهار كِلا الطرفين الاهتمام ببعضهما البعض. والإخلاص باعتبار معنى الكلمة يعني الاستقامة، ويعني أن يكون الإنسان صادقاً في كلمته وفي عمله، وألا يقول الكذب. وبدون شك إن استمرار الأزواج في الاستقامة مع بعضهم البعض في كل حالٍ من ناحية صحة الزواج، وتجنب الكلمات والسلوكيات التي تُضعف الثقة الموجودة فيما بينهما، هو ذو أهمية كبيرة من ناحية صحة واستمرار الزواج. وكذلك أن يكون الرجل والمرأة صادقين مع بعضهم البعض، وألا تميل عيونهم وقلوبهم إلى إناسٍ أخرين، هي أيضاً أحد



الشروط الضرورية من ناحية سلامة الزواج. ومن أجل عدم السقوط في هذا النوع من الأخطار فالشرط هو إظهار الانتباه للأسس والقواعد التي وضعها الإسلام بخصوص علاقات المرأة والرجل الأجنبيين ببعضهما البعض. وإن التواجد في سلوكياتٍ ستوقع البشر في الشك والظن والإشاعة والوسوسة، يُضعف شرف واحترام الشخص ويهوي بعش الأسرة في الخطر أيضاً.

أما المظهر الآخر للإخلاص والولاء فهو أن يكون الطرفان في غاية الاحترام وتقديم الخدمة تجاه أمهات وآباء بعضهم البعض أيضاً.

وبهذا الاعتبار ينبغي على فتياتنا العرائس وفتياننا العرسان أن يُظهروا الاهتمام لحمواتهم وأحمائهم عينه الضي يظهرونه لأمهاتهم وآبائهم. فغداً سيصبحون في نفس الموقف هم أنفسهم . فلو تصرفوا بطريقة خاطئة، سيغدون هم أنفسهم مخاطبين أيضاً بالطريقة ذاتها بتعبير القدماء: "منْ دقَّ دُقَّ!" أي: "منْ يحتال يصاب بالغش". وعلى الأصح "يجد ما فعل". أي أن ما فعلوه هم أنفسهم سيلقون مثله تماماً في أحد الأيام.



إن وظيفة تأمين المعيشة عند الزواج هي منوطةٌ بالرجال. حسناً، فهل المسؤولية الخاصة بمراعاة الاقتصاد وعدم التبذير في الأسرة هي أيضاً منوطة بالرجل فحسب؟

لقد حمَّل الدين الإسلامي الرجل وظيفة تلبية المصاريف المتعلقة بمعيشة الأسرة. لكن هذا لا يعني تلبيته لكل أنواع طلبات أفراد الأسرة فوراً. بل عليه تأمين الاحتياجات المشروعة والضرورية حسب الإمكانيات. حتى وإن كان غنياً، فمن اللازم عدم تلبية كل ما يطلبه الإنسان فوراً. لأن تنفيذ كل ما يُطلب، يزيد الرغبات والشهوات مع الوقت ويمكن أن يتسبب بعدم القناعة والانفلات في النفس وحتى التمرّد. وهكذا تهلك أي نفس صاحبها ونفسها في دوامة التفكير من خلال التصرف بأنانية على مر الزمان. وتظن أن جميع الأسرة أسيراً لها. وتبدأ في استغلال كل شيء. يعني باختصار تصير لديها الكثير من الإمكانيات وتغدو نفس الإنسان التي تستخدم إمكانيتها هذه أيضاً في اتجاه الرغبات النفسية أشبه "بحصان" لا يقبل اللجام . ولهذا السبب فإن تأجيل بعض الرغبات المفرطة في حالة القدرة على



معظمها، هي شرطٌ من أجل النضج المعنوي للإنسان، وكذلك لئن يطأ بقدميه الأرض، ولرؤية حقائق الحياة، وأن يحوز على رضا الله ﷻ. فينبغي ألا يُنس أن الصبر الحقيقي هو الصبر عند كثرة المال. لأن كثرة المال هو عنصر مؤثر باستمرار.

إن عدم تنفيذ كل ما يُطلب فوراً واتباع طريقةِ تدريبٍ في سبيل إنضاج الإنسان، هو حكمةٌ إلهية في نفسٍ الوقت. فالحق سبحانه وتعالى لا يقبل طلبات وأدعية عباده أحياناً، فيؤجلها، وقد يقبلها أوقاتاً أخرى. والمقصد من هذا هو إدراك احتياج العباد إلى الحق سبحانه وتعالى وعدم تعلّقهم بتلك الدنيا الفانية تماماً، وللحيلولة دون الوقوع في التدلّل بالنعم. لأن الإنسان لا يريد الانفصال عن الدنيا حتى عندما يكون في خضمّ آلاف الأزمات، وعندما لا يستطيع الوصول إلى آماله. وعلاوة على ذلك لا يريد مغادرة هذه الدنيا إذا تحققت كل رغباته وبلغ جميع أحلامه، ومن الممكن كذلك أن ينساق إلى الأخطاء الكبيرة وحتى إلى العصيان. وقد على هذا ارتكب آدم عليه السلام "**الخطيئة**" من أجل أنه لم يُرد مغادرة الجنة وأُنزل إلى الأرض. ومن أجل وجهة النظر



تلك، ينبغي العمل عند تدريب الأطفال وعند تنفيذ رغباتهم من خلال وضع اللحظات الصعبة التي يمكن أن يتعرّضوا لها في المستقبل ويوم الحساب أيضاً أمام العين.

ومن الطبيعي أن إيصال الأمر إلى الشح من خلال الاقتصاد في النفقات الزائد عن الحد والإعراض عن تلبية مجموعة من الاحتياجات الحياتية والضرورية هو ليس أيضاً تصرفاً صحيحاً يمكن تقبله. وينبغي اتباع خطّاً معتدلاً فيما بين هاتين الحالتين.

وقد ورد في الآية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ (الفرقان، ٦٧)

وهذا الاعتدال هو ميزان الحياة. ولو أن الشحّ كم هو سيء، فالإسراف أي التبذير هو سيء بذلك القدر أيضاً. فالرجل أو المرأة ليس لديهما الحق قطعاً في التبذير والإسراف الشديد حتى وإن كانت إمكانياتهم واسعة. ولا يقول شخصٌ ما "إنه مالي، أُنفق كيفما أشاء..." فإن الله ﷻ الذي وهبهم ذلك المال على سبيل الأمانة



سيسألهم يوم القيامة فرداً فرداً عن حساب كل أنواع النفقات قائلاً: "فيما أنفقت مالك وعلى ما؟". وبناءً على هذا ورد في الآية الكريمة:

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء، ٢٦- ٢٧)

وقد حرَّم الإسلام شتى أنواع الإسراف على كل فرد. وأيضاً إن الإسراف الموجود داخل الأسرة هو مرضٌ سيئ يجب منعه وليس هناك فرقٌ إن كان من الرجل أو المرأة. وإذا أصاب هذا المرض روحَ أيِّ إنسانٍ، فمن الصعب أن يعيش ذلك الشخص في سلام وراحة.

إن هذا الابتلاء الذي يُطلق عليه "جنون الاستهلاك" في يومنا الحاضر قد جعل الطمع والهوس بكل شيء جديد ومختلف طبيعياً من خلال عدم الاكتفاء بما هو موجودٌ. إنَّ استبدالَ الأدوات المنزلية والهواتف والملابس والسيارات وما شابه ذلك في مجالات كثيرة جداً، وأيٌّ ما كان في اليد بالجديدِ على الرغم من عدم وجود حاجة ماسة لذلك، وشراء الملابس والأشياء



الجديدة باسم "الموضة"، والسعي إلى ارتداء مجموعة من العلامات (الماركات) التجارية فقط، كلها من نقاط ضعف البشر الموجودة في براثن هذا المرض.

وأما النتائج فمُحبطة! وتصبح العواقب سيئة جداً للذين يسعون إلى تلبية رغباتهم وأهوائهم إذا ما كانت إمكانياتهم محدودة وغير كافية من خلال الاقتراض واستخدام البطاقات الائتمانية والتلوّث بالربا على وجه الخصوص. وعلاوة على كل ذلك أيضاً، يلجأ إلى اتهام من حوله بادعاءاته: "هم لا يساعدونني!" من أجل غرقه في مستنقع الديون.

وهذا الحال هو نتيجة محزنةٌ لعدم استخدام العقل والأحاسيس بتوازن. ولهذا السبب من اللازم الاتجاه إلى بركة الصبر بدلاً من جنون الإنفاق. لأن الله يُنعم على البشر بالقلة وبالكثرة أيضاً من أجل أن يكون ذلك وسيلةً للحكمة والاختبار، وبالتالي للصبر والحمد دائماً. وينبغي التفكير في أن قلة الإمكانيات حتى وإن كانت شديدة بصفة دنيوية، تُقرِّب العبد كثيراً من ربه. فالإنسان في موقفِ مَنْ نفدت إمكانياته يتذكر الله ﷻ دائماً ويقول "يا إلهي!". وشعوره بعجزه هو ما يجعل



الإنسان إنساناً. وقد التجأ سيدنا رسول الله ﷺ إلى ربه في خضوعٍ قائلاً:

"يا ربي ما عرفتك حقّ معرفتك، وما عبدتك حق عبادتك".

وقد حدَّد أولياء الحق سبحانه وتعالى معايير الملابس طبقاً لدرجات قلوب المؤمنين على النحو التالي:

- الملابس في الشريعة، هي عدم تجاوز الحد من ناحية الحلال والحرام.
- الملابس في التصوّف، هي عدم المضيّ بعيداً عن حدود الاحتياج.
- أما في الحقيقة فهي عدم إظهار أي محبة أو ارتباطٍ مفرطٍ بالملابس والثياب. أي ارتداؤها نظيفةً لا غلوَّ فيها بحيث تكون بسيطة، وعدم إشغال القلب بهذا أيضاً...

ولو أن الإنسان يصعب عليه أن يجد ما ينفق فيه ماله حقيقة، ومن أجل هذا يتجّه إلى الإسرافِ، فينبغي عليه تذكّر مدّ يد المساعدة إلى البشر المحتاجين أكثر منه. ولو يساعد أحياناً، فينبغي عليه أن يزيد من هذا أكثر أيضاً لأن هذا هو واجبٌ إنساني وديني أيضاً.



إنَّ الإنسان الذي يعتقد أن للفقراء والمحتاجين والأيتام حقٌ في المال الذي اكتسبه لا يستطيع أن يبدّد ثروته ببزخ. وكما أن الإسلام وضع المبادئ التي تحدّد الأماكن التي يُكتسب منها المال فقد حدّد أيضاً المجالات التي سيمكن الإنفاق فيها والممنوع الإنفاق فيها. وقد ورد في الآية الكريمة:

﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة، ١٩٥)

وينبغي ألا يُنسى أن حساب الآخرة ثقيل حتى من أجل قرشٍ واحد سينفق في الإسراف في أي زمان ومكان، حيث يتخبط البشر في الجوع والفقر المدقع.

وبفضل هذا ينبغي على الإنسان التأمل قبل أن يَغطُّ في النوم كل يوم في النعم التي نالها، كما و عليه أن يحمد الحق سبحانه وتعالى من أجلها. وأن يفكّر في أن:

النوم على شبع بينما هناك أُناس كثيرون في الدنيا في وضع الجائع والعطشان، كونه في حالةٍ من عدم الاحتياج والأمن، بينما هناك أُناس بلا عدد يتضوّرون من الجوع يحيط بهم الخطر أو الاحتياج، وأن التمدد



على سرير الراحة بينما يبيت آلاف من الناس على سفوح جبال الهيمالايا محرومين من مأوى دافئٍ في موسم الشتاء هذا بسبب الكوارث، فما أعظم النعمة وما أعظم المسؤولية أيضاً.

ولهذا ينبغي أن يكون للتفكّر في محاسبة كهذه سيتم القيام بها كلّ يوم قبل النوم مكانةً لا يمكن إهمالها في حياتنا، وقد قال سيدنا عمر ﵁:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا».[٢٨]

كان يستجوب نفسه كل ليلة في محاسبة وجدانيةٍ ويردّد عبارات مثل:

«لو أن شاةً على ضفاف نهر دجلة سقطت في الماء وغرقت، لسأل الله عنها عمر».

«ماذا فعلت اليوم لأجل الله يا عمر؟».

فيا تُرى كم مرة استطعنا أن نعيش نحن بما تقتضيه هذه المشاعر؟ وكم ليلة استطعنا فيها أن نخضع قلوبنا المشغولة بجلبة المعيشة كل نهار إلى محاسبةٍ كهذه؟

---

٢٨ الترمذي، القيامة، ٢٥ / ٢٤٥٩.



وها هنا تظهَر خاصيةُ تُوَفِرُ الهدوءَ والأمن المعنوي عند البشر الذين يُحيون في داخلهم حسّ محاسبة النفس على هذا النحو، ألا وهي "**القناعة**"!..

القناعة هي أعظم ثروة، ومقياس غنى القلب عند أي شخص إنما يكون بقناعته فحسب، فالبشر القانعون يستطيعون الاكتفاء بالإمكانيات التي يملكونها.

والأكثر أنهم لا يكونون من أصحاب الطموح المفرط أكثر من اللازم. وهذا يُصبح سبباً لارتياحهم الروحاني ولئن يكونوا راضين عن القدر أيضاً.

لكن هذا لا ينبغي أن يُفهم على أنه كسل وإعراض عن حياة السعي بصورةٍ قطعية.

وعلى العكس فإن الشيء الذي أردنا أن نقوله هو التحلّي بالرضا بما أنعم الله به بعد السعي في إطارِ معاييرٍ مشروعةٍ ومتوازنةٍ.

فالذي يرضى عما هو في يده يسعى لمساعدة غيره بما في وسعه و قدرته. لكن الشخص الذي لا يرى كفايةَ ما في يده يطلب المزيد في كل وقتٍ ويترك المساعدة لغيره وينتظر المساعدة لنفسه كل لحظة.



إن مجتمع عصر السعادة الذي يعيش فيه جميعُ ما أحصيناه والكثير من الفضائل، كان مجتمع الوصول إلى أُفق الوصال. ذلك العصر كان عصراً مزدهراً للتعرف عن قُرب ومن القلب على الله سبحانه وتعالى ورسول الله ﷺ. ففي ذلك المجتمع طُردت المنافع والطموحات الدنيوية من القلب. وقد استخدم المال والروح بصفتهما وسيلةً للتقرب من الله ورسوله فحسب. وأصبح الإيمان لذة وانتشرت الرحمة. وأصبحت خدمة مخلوقات الله طرزاً لأي حياة. وأصبح التحلّي بأحوال رسول الله ﷺ أعظم نموذج للصحابة الكرام. وقد جعلت كل وصيةٍ أو تحذير صدر عن رسول الله ﷺ تاجاً إلى الأبد بصفتها أمراً مقّدساً وقوبلت باحترامٍ وتبجيلٍ.

وقد عاش جميع المجتمع بمعايير القناعة. وكان الاستهلاك المفرط والبذخ والإسراف والنَّهم والتباهي طرز حياة لم تعرفها بيئة مجتمع الصحابة. وأدركت القلوب حقيقة أنه " غداً سيصبح قصر هذه النفس قبراً ". وقد وُضع المولى سبحانه وتعالى ورسوله في مركز المحبة. وصار المجتمع الذي لم يعرف القراءة والكتابة قبل ذلك في قمّة المدنية عندما سجلت



ودخلت في مدرسة الإسلام والإيمان. وعاشت جميع القلوب تغمرها مشاعر: " ماذا يريد الله منا؟ وماذا يريد رسول الله ﷺ رؤيته فينا؟ ". وارتبطت الحياة برضا الله. وتعمّقت الرحمة والشفقة، أما الحساسية بالحق والعدل فقد صارت في الذروة. وصارت الأزمنة التي تمّ توصيل رسائل الوحي فيها إلى نسل الإنسان أكثر اللحظات متعةً ومغزىً في الحياة من أجل الصحابة.

وينبغي علينا اليوم أيضاً الوصول إلى الارتقاء المعنوي وإلى الهدوء والجمال عينه بصورة جماعيةٍ من خلال اتباع قافلة الفضيلة هذه الخاصة بهم.

وينبغي على الأمهات والآباء الامتزاج بهذه المثاليات و عليهم تدريب أبنائهم بنفس الشكل أيضاً. كما ويلزمهم على وجه الخصوص ألايوجدوا تمييزاً فيما بين أبنائهم. و أن يراعوا العدل والمساواة فيما بين الذكر والأنثى أو فيما بين الأطفال من نفس الجنس. وربما لا يمكن أن يصبح من الممكن تحديد الحب الموجود في داخل الإنسان، لكن وعلى الأقل لا ينبغي أن يُظهر الاختلاف في انعكاس هذا. فعلى سبيل المثال ينبغي أن يشتري لأحدهم الذي تمّ شراؤه للآخر، ويجب



ألا يهمل أحدَهم عندما يُقبِّل الآخر أيضاً. وخلاصة القول أنه ينبغي ألا يصبح سبباً لاخضرار بذور الغيرة فيما بين الأطفال بأيِّ شكلٍ قط.

ولا بد من اختيار الجيران من الناس الطيبين أيضاً، والانتباه إلى العلاقات مع الجيران والأقارب ذوي الأخلاق البذيئة والضعاف دينياً. أي ينبغي ألا يُلقي بعياله كبيرهم وصغيرهم إلى التهلكة بينما يفكر في إرشادهم وتحذيرهم.



حول تربية الطفل



لو أردنا أن يخلو أطفالنا عن العيوب، ينبغي علينا أن نسعى لأن يكون كلٌّ من الأم والأب بلا عيب.

حول تربية الطفل

مثل ماذا ينبغي على الأسر مراعاته في تربية الطفل؟

أولاً ينبغي التذكير بأن الأطفال هم أمانة إلهية لكل منا، وهم براعم ثمينة امتدت من جوهر وجودنا. وطبقاً للقلوب الحنونة تبدأ أول موسيقى السعادة في المنازل بأصوات الأطفال المولودين التي تُطَمْئن القلوب.

والأطفال وفقاً لما ورد في الأحاديث الشريفة؛ هم «**زهور الجنة**»، و«**ثمرة الفؤاد**»، و«**هبة ونعمة إلهية**».

وبهذا الاعتبار فالأطفال هم فضلٌ ونعمةٌ من ربنا، ما أجملها!. فهل تُنسى تلك السعادة البالغة التي تجعل منّا أماً وأباً عندما يأتي أول طفل لنا إلى الدنيا؟



حيث تشبه أضواء المتعة والصفاء الموجودة في ابتساماتهم بريق الجنة. إن تنشئته وتربيته وإهدائه للمجتمع هو أفضل عملٍ من أجل أيِّ أمٍّ. لأن قلب الأم هو أول مدرسة يتلقى فيها أي طفل تدريبه وتربيته. وإن الأبناء الصالحين الذين يُبذل الجهد في تربيتهم سيصبحون في الآخرة حجاباً فيما بين والديهم وجهنم.

إن أحد أهم الواجبات على الأسر أيضاً هو تزويد أبنائهم الذين أنعم الحق سبحانه وتعالى بهم على فطرة الإسلام بالخير والفضيلة.

وكما أن تنشئة الأطفال على أن يكونوا مؤمنين ومن أهل الاستقامة ومحبين للوطن هي أعظم مسؤولية لأي أم وأب، فهي وسيلة أيضاً لكتابة الحسنات في صحائفهم التي تبقى مفتوحة بعد وفاتهم.

إن الأبناء هم ثمرة سعادةً فريدة في عش الأسرة وأكثر الروابط رسوخاً فيما بين الأم والأب. وهم أمانةٌ ثمينة جداً من الله لكلٍّ من الأم والأب.

ويُبين سيدنا رسول الله ﷺ مسؤوليات البشر في أحاديثه الشريفة على النحو الآتي:



«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤولٌ عن رعتيه، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».[29]

وقد ورد في الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم، ٦)

وقد فسَّر رسول الله ﷺ ما ورد في هذه الآية الكريمة على النحو الآتي:

"تنهوهنّ عما نهاكم الله عنه وتأمروهن بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار".[30]

---

٢٩ البخاري، الوصية، ٩/ ٨٣٩ ؛ صحيح مسلم، الإمارة، ٢٠.

٣٠ الألوسي، جـ٢٨، ١٥٦.



من أين يجب البدء في تربية الطفل؟ وهل العقاب بالضرب هو أحد أنواع التربية؟ وما هي الأمور التي يجب على الأسرة مراعاتها والقيام بها في تربية الطفل؟

ينبغي أن تبدأ تربية الطفل من تربية الأم والأب أولاً. لأن هذه التربية العظيمة هي التعليم والتربية التي سيتمكّن كلٌّ من الأب والأم الناضجين من تحقيقه ممن يمكنهم اكتساب صفة المربِّي (القائم بالتربية). فكيف يمكن أن تكون التربية التي سيستطيع أن يقدمها أي أم وأب تعليمهما ناقص هم أنفسهم لأبنائهم؟ والتي وصفها الشاعر في قوله:

كيف لجدٍ محتاجٍ للمساعدة
هو نفسه، أن يساعد غيره!..

ومن أجل ذلك لو أن تربية الطفل تبدأ من الأم والأب، فسيتمّ إحراز نتائج مثمرة كذلك. أي كما قال الشاعر:

الأب دعامة البيت، ينبغي أن يكون رزقه حلال
الأم قلب البيت ينبغي أن تكون وردةً في غاية الدفء

(الشاعر سيري)



وفي ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نلخص الأمور الرئيسية التي ينبغي أن ينتبه إليها كلٌّ من الأم والأب في موضوع تنشئة الطفل على النحو التالي:

أ) ينبغي تسمية الطفل باسم جميل يوحي بالروحانية. حيث يأتي تسميته بـ «اسم جميلٍ» على رأس حقوق الولد على الأم والأب. لأن الاسم يؤثّر على المسمى (الذي تسمّى به). يعني أن معنى الاسم الذي سُميَ به الطفل، يُظهر صفته في ذلك الطفل.

وطبقاً للرواية التي دوَّنها الطبراني:

دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بِنَاقَةٍ، فَقَالَ : «**من يحلب هذه؟**» فقام رجل. فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك؟**»، فقال له الرجل: مرة. فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلس**».ثم قال: «**من يحلب هذه؟**» فقام رجل. فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك؟**». فقال: حرب.فقال له رسول الله ﷺ: «اجلس».ثم قال: «**من يحلب هذه؟**» فقام رجل. فقال له رسول الله ﷺ: «**ما اسمك؟**» فقال: يعيش.فقال له رسول الله ﷺ: «**احلب**».[31]

---

31 الطبراني، المعجم، الثاني والعشرين، ٢٧٧؛ الموطأ، الاستئذان، ٢٤/ ٣٥٦٩/ ٧٩٤.



ب) ومن أجل أن يَشُبَّ في بيئة مزدهرة، ينبغي مراعاة أن تكون اللقم التي يُطعم منها من «**الحلال**».

جـ) ينمو الأطفال مقلّدين للأكبر منهم بصفةٍ مستمرة من طريقة التحدّث وحتى السلوكيّات. ولأن خاصية التقليد تكون مسيطرةً من خلال اتخاذ نموذجاً عندهم. فمن أجل هذا ينبغي أن يُعرض عليهم كل ما هو جميل (التصرف الذي سيصير نموذجياً).

فعلى سبيل المثال، إذا كان طفلٌ ما في مناخ من الجدال والنزاع، يسوء خلقه ويحتدّ طبعه. أما إذاً كان في مناخ هادئ ومستقر، فيشبُ على طباعٍ طيبةٍ وخلقٍ حسن.

د) ينبغي السيطرة دائماً على سلوكيات الأطفال دون إشعارهم. وعلى وجه الخصوص لا ينبغي ترك المجال لارتكاب الأخطاء التي لم يستطيعوا فعلها أمام العين في الأماكن الخفيّة والمنعزلة. لأنه في هذه الحالة تصبح شخصياتهم ضعيفة، ويصبحون مزدوجيّ الشخصية. والانعكاسات الأولى لهذه الحالة هي الكذب والرياء أيضاً.



هـ) ينبغي «تقدير» ومكافأة التصرفات الحميدة للأطفال، أما الأخطاء فينبغي ألا يتمّ تجاهلها. لأن السلوكيات الإيجابية تتأصّل في شخصية الطفل من خلال تعزيزها بالمكافأة. وفي مقابل هذا، فإن استمرار تكرار «الأخطاء التي لم يُحذّر منها» في وقتها تصبح جزءاً من الطبيعة الشخصية للطفل.

ولهذا السبب لا ينبغي أن تُقابل بالتهاون أخطاء الملابس في السنّ الصغيرة للأطفال الإناث على وجه الخصوص. لأن الأشياء التي يعتاد عليها الإنسان، يمكن أن تتحول إلى إدمانٍ لا يمكن العدول عنها مع الوقت.

و) لا ينبغي جعل الطفل في حالةٍ مزريةٍ من خلال إيقاع العقاب عليه مراراً وتكراراً فيغدو صفيقاً. كما لا يصح توبيخه عندما يكسر طبقاً أو كوباً عن غير قصد، لأن هذا النوع من الحالات هي حوادث يمكن أن نفعلها نحن أيضاً. ففي مواقف كهذه يعتقد الطفل أنه تم توبيخه من أجل أنه غير قوي. إذ أنه لا يصدر الغضب من قبل أي شخص عندما يحدث منّا الأمر نفسه. وهذا أيضاً يولّد ارتكاساً (رد فعل) عند الطفل تجاه القِيم التعليمية الصحيحة الأخرى التي سيعطيها كلٌّ من الأم والأب،



ويصنع تأثيراً لكل ما يُقال كلما سنحت الفرصة. وينبغي أن نكون حذرين جداً من أجل ذلك، وألا نتصرف بقسوة تجاه الأطفال في الحوادث المنزلية البسيطة التي يمكن أن نفعلها نحن مثل كسر الطبق وسكب الشاي إلى آخره. وعلى تنبيهنا وتحذيرنا أن يكون بلسانٍ لينٍ.

ومع ذلك لا يمكن أن نكون غير مهتمين ومتساهلين بصورةٍ قطعية أيضاً تجاه الأخطاء والغلطات التي ستؤثر على طباع وأخلاق الأطفال. لكنه من المهم للغاية القيام بهذا من خلال الإقرار على نفسه حتماً بأن ما فعله خطأ، وأنه كان على غير حق أيضاً في التصرفات مثل العقاب والمنع والتوجيه المناسب لأي تربية ستُعطى للطفل. لأن هذا يساعد في تكوين طفل يعترف بذنبه. وإن القيام بالتكوين دون إثبات وإقرار الذنب عليه، لا يصبح مثمراً قط. لأن الطفل لو قال الكذب على سبيل المثال في موقف لم يُثبت ويُعترف به عليه، يمكن أن يعتقد أنه على حقّ ويقوم باتهام الأم والأب من أجل أن هذا لم يُثبت ولم يُوضح. ولذلك:

ز) ينبغي إقناعهم من خلال شرح الأسباب « بشكلٍ يمكن أن يستطيعوا إدراكه » عندما يتمّ تعليمهم الأوامر والمحذورات والقواعد.



ح) وينبغي تعليمهم آداب المعاشرة (أصول المعاملة) و «قواعد الأخلاق» وينبغي على الأسر الغنية على وجه الخصوص أن يمنعوا أطفالهم من تصرفات التعالي والتكبّر تجاه أقرانهم. لأن هذه التصرفات تصبح عادةً مع الوقت. وينبغي تلقينهم التواضع، وينبغي أن يُقصّ عليهم قصة «قارون» الموجودة في سورة القصص بلغةٍ يفهمونها.

ط) كما وينبغي إتاحة الفرصة للأطفال «لأن يعيشوا طفولتهم» في إطار الحدود المشروعة. لكن لا ينبغي أن تطلق لهم الحرية كثيراً، ولا ينبغي أن يُضيَّق عليهم الخناق زيادةً عن الحدّ أيضاً. لأن الراحة الزائدة تُثير روح الأنانية، وتسببّ الكسل، والضغط الزائد أيضاً يعطي سبباً لأن يكون الطفل صاحب شخصية مقهورةٍ وضعيفة. والضغط المفرط لا يسبّب فحسب القهر عند الأطفال من ذوي الشخصية، بل يؤدي في بعض الأحيان إلى التمرّد. وهكذا يصبح الأطفال بعد بلوغ سنٍّ معينٍ على وجه الخصوص يعصون ولا يُصغون إلى الأمٍ والأب كنتيجةٍ للضغط المفرط. وبسبب هذا ينبغي أن يتمّ ملأ أوقاتهم بأسلوبٍ متوازنٍ بالسلوكيات



التي سيمكن أن تكون وسيلة لأن يكون كل منهم إنساناً فاضلاً.

ي) ينبغي تذكيرهم بنِعم الحق سبحانه وتعالى و «تعويدهم على الحمد والشكر». و أن يتم السعي من أجل تطبيع محيطهم الاجتماعي الداخلي في مناخٍ من الروحانية، من خلال إعطاء أمثلة من حياة سيدنا رسول الله ﷺ.

ك) كما ينبغي كذلك تعويدهم على العبادة والعمل وهم في سنٍّ صغير، و تلقينهم مسؤولية العبادة وأهمية العمل.

وباختصارٍ لو أردنا لأطفالنا أن يكونوا خالين عن العيوب، ينبغي علينا أن نسعى لأن يكون كلٌّ من الأم والأب بلا عيب.

ينبغي أن تبدأ تربية الطفل أولاً من حب الطفل الموجود في قلب كل من الأم والأب. وينبغي أن يحبونهم بصفتهم أمانة الله، وينبغي أيضاً أن يجعلوا من هذا الحب وسيلةً للفوز بسعادة الدنيا والآخرة. ولو أننا لم نربِّ ذريةً طيبة من بعدنا، يبقى قبرنا موحشاً. ويجب



عدم نسيان أن منزلنا الحقيقي الذي في الغد إنما هو القبر. فما أجمل التفكّر والتمني في تلك الرباعية التي كتبها الشاعر سَيْري في سبيل محاسبة الغد:

لا تسأل هل يتعاقب العباقرة من جديد

ليلف المستقبل ويدرك عزم الماضي

لتلد كل أمٍّ الفاتح وسليم مرة أخرى

بقي المهد فارغاً، يا أيها الغد ذو القماط الغريب!

ما هي الحساسية التي ينبغي على الأم أن تُظهرها فيما يتعلق برعاية وتربية أطفالها؟

يُقال في أحد الأمثال «الأم مدرسة». ستصبح الأم «أول وأعظم مربي» عن طريق ترك آثار ثابتة في روحهم من خلال عرض نماذج طيبة للأطفال من أجل أنها تمكث مع أطفالها في البيت كثيراً جداً.

إن كل كلمة تخرج من فم الأم هي مثل اللبنة التي تُوضع في بناء شخصية الطفل. وقلب الأم هو أحد فصول الدرس التي تعلم فيها الطفل. والأمهات هم أعظم منبع للرحمة. ويصعب تربية الأطفال المحرومين



من تربية الأم. والأشخاص ذوي الشخصية الرفيعة هم الأطفال الذين قامت بتربيتهم أمهاتٌ صالحاتٌ جداً.

إن أي أم صالحة مضحية تأخذ على عاتقها الوفاء بالواجبات القيّمة مثل شؤون البيت وتربية الأولاد وخدمة زوجها، هي جديرةٌ بالحب الجمّ والاحترام العميق والشكر طوال العمر.

وقد ضربَ المسلمون المحترمين والفضلاء في العالم الإسلامي أرفع نماذج في احترام الوالدين والأم على وجه الخصوص. وعلى رأس هؤلاء سيدنا رسول الله ﷺ كان يذهب كل أسبوعٍ لزيارة السيدة حليمة رضي الله عنها أمه بالرضاع، وكان يفرش جبّته المباركة على الأرض، وكان يريد أن تجلس أمه بالرضاع عليها. و ينهض كلما تدخل وتخرج أمهاته بالرضاع إلى الغرفة وكنّ يظهرن الاحترام له.

كما وينبغي على الأمهات اللاتي يملكن فرصة العلاقة عن قربٍ أكثر بالأطفال على وجه الخصوص، أن تأخذن من السيدات الصحابيات مثالاً يُحتذى به فيما يخصّ تربية أبناءهم قرة العين. يعني أن:



السيدات الصحابيات اللاتي أصبحن أمهاتٍ نموذجياتٍ في تربية سيدنا رسول الله ﷺ يحذّرن أولادهنّ الذين تأخروا في رؤية رسول الله ﷺ والذين لم يلتقوا به منذ وقتٍ طويلٍ.

وبناءً على هذا فإن حذيفة رضي الله عنه قد عاتبته أمه من أجل أنه لم ير سيدنا رسول الله ﷺ لعدة أيام. ويحكي هذا بنفسه على النحو الآتي:

«سألتني أمي:

متى تقابلت آخر مرة مع سيدنا رسول الله ﷺ؟

فقلت أنا أيضاً:

لم أستطع أن أتقابل معه منذ عدة أيام.

فغضبت مني كثيراً وعاتبتني بشكل سيء. وقلت أنا أيضاً:

على رسلك لا تغضبي لأذهب فوراً إلى جوار رسول الله ﷺ، ولأصلي معه صلاة المغرب، ثم لأطلب منه أن يستغفر لي ولكِ أيضاً».[٣٢]

---

٣٢ الترمذي، المناقب، ٣٠؛ أحمد بن حنبل، المسند، جـ ٥، ٣٩١-٢



وفي سبيل هذه التربية يجب علينا حماية أطفالنا من الطيش والشيطنة والإسراف. وينبغي أن نسمّيهم باسم جميل، و أن نعرِّفهم بالقرآن، و أن نذيقهم متعة إمكانية عبادتهم لله، وأدائهم الصلاة على وجه الخصوص في سنّ صغيرة، وجعل أفئدتهم الصغيرة التي لم تُلوّث بعد جعلُها تتذوق طعم السعادة الناجمة عن مساعدة المحتاج والإنفاق. وينبغي علينا في هذه الأمور أن نتجنب بدرجةٍ كبيرة جداً السلوكيات الخاطئة وغير المشروعة، يعني السلبيات التي ستزيد الأنانية. لأن الأطفال يميلون إلى التسجيل والتقليد مثل الفيديو وكاسيت التسجيل لجميع السلوكيات الموجودة عند الأم والأب كما هي دون تمييز الخطأ منها والصواب قط. فعلى سبيل المثال لنفكّر في الواقعة التالية من أجل تصوّر كيف سيحيط التصرف السيء المتعلق بالإنفاق بعقل الطفل الساذج:

كان أحد الآباء يوبّخ محتاجاً عجوزاً ومريضاً وفي حالةٍ بائسةٍ جاء على الباب، وذلك أمام ابنته الصغيرة. فسألته ابنته التي في سذاجة ونقاء الطفولة قائلةً:

«يا أبي العزيز، لم تكسر قلب هذا المسكين؟».



فقال الأب ذو القلب القاسي:

«يا ابنتي لا تلتفتي إلى هؤلاء! مثل هؤلاء لا يستحيون أن يكونوا عبءً على الآخرين! وعندما يُعْطَوْنَ يبذّرون المال ويصرفونه في وجوه الحرام. وربما هؤلاء يكونوا أكثر غنىً منا أيضاً».

و من أجل أن الشخص الذي جاء على الباب كان شديد الاحتياج، وعندما استمر في السؤال قائلاً:

«من أجل رضا الله...» غضب الأب جداً وصرخ قائلاً:

«ارحل بعيداً الآن أيها الوقح!»

ومن أجل هذا ألا تصبح البنت الصغيرة التي شبّت شاهدةً على تصرفات وكلمات أبيها تلك تجاه هذه الواقعة، وإن كانت مفعمة بالإحساس بالأسى في بادئ الأمر، ألن تتحول شخصاً لا يساعد المحتاج قطّ عندما تكبر، إلى جانب ذلك فإنها لن تشعر ولن تحسّ بهم ولن يتوجع ضميرها من آلامهم؟

ومن أجل هذا كان المرحوم والدي موسى أفندي -قُدس سرّه- يعطي أحياناً بيد الأطفال الصغار عندما



كان يقدم أي شيء لأي محتاج، وكان يؤكّد على تعويدهم على الإنفاق. وفي أحد المرات بينما كان يجمع التبرعات من أجل خدمة مهمة كان ينظر ويدقق بعيناه إلى طفل في عمر ما بين السابعة والثامنة والذي كان يقف بجواره على قاب قوسين أو أدنى. وكأن الطفل القاصر قد شعر من هذه النظرات بإثارة إلى حالة التأهب للإنفاق الموجودة عند الكبار، ومد يده إلى صندوق المساعدة بمقدار قليل من قطع النقود الموجودة فيها فكان عطاء كبير من قلب صغير. ودعا موسى أفندي -قُدس سره- الذي رأى هذا ذلك الطفل إلى جانبه، وربت على رأسه، وبعد القيام بملاطفة جميلة، قال بطريقة لطيفة:

«حسناً ما فعلت يا بني، راقبتك منذ لحظة. ولو أنك لم تعط شيئاً، لكنتَ أحزنت جدك هذا!...»

وما أجمل ما يشرحه كل هذا من أنه كيف عكس الأطفال أطوار وسلوكيات وأخلاق الكبار.

ومن جهة أخرى فقد تم التوصية في الأحاديث الشريفة على الأطفال الإناث بصفتهم مختلفين عن



الأطفال الذكور من أجل أنهم في حاجة أكثر إلى الخدمة والعناية.

وقد ورد في الحديث الشريف:

"مَنْ عال ثلاث بنات، فَأَدَّبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وأحسن إليهن، فله الجنَّة".[٣٣]

وقال رسول الله ﷺ:

"من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو" وضم أصابعه.[٣٤]

وفي هذا الحديث الشريف يوجد بيان مبارك يُخبر بكيفية معاملة الأطفال وبخاصة الأطفال الإناث.

أما الأمر الذي يجب الانتباه إليه على وجه الخصوص في تربية الطفل، فهو مسألة الضرب. وهذا سلوك خاطئ لا يمكن قبوله أبداً. ويمكن تطبيق الأصول الرادعة على الطفل بزعم اكتسابه للعادات السيئة، إلا أنه لا ينبغي أن يكون الضرب من بين هذه الأصول. لأن ذلك يجعل من شابّ المستقبل جباناً وخائفاً أو صفيقاً ووقحاً.

٣٣ أبو داود، الأدب ١٢١/ ٥١٤٧؛ ابن حنبل، جـ٣، ٩٧/ ١١٩٢٤.

٣٤ مسلم، البر ١٤٩/ ٢٦٣١؛ الترمذي، البر ١٣.



وعلاوة على ذلك قد نهى رسول الله ﷺ عن تربية أي إنسان و حتى الحيوان بالقسوة والضرب.

وبناء على هذا فقد حذّر من أجل عدم ترويض الجمل الذي لا يزال لم يتمّ ترويضه على الركوب والذي أعطاه على سبيل الهدية إلى السيدة عائشة رضي الله عنها بالشدة والقسوة قائلاً:

"إِنَّ الرِّفْقَ لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيءٍ إلا شَانَهُ".[35]

وخلاصة القول أن الأم الصالحة هي حضنٌ من الرحمة يتّسع بالقدرة الإلهية. ومن أجل هذا فقد قال رسول الله ﷺ :

"الجنة تحت أقدام الأمهات".[36]

إن جوهر الفضيلة الذي سيُذيب سوء سلوك الأفراد والحدّة المملّة للأطفال على وجه الخصوص في معسكر الأسرة هو قلب الأم. وقد تُركت بذور زهور السعادة لقلوب الأمهات.

---

35 مسلم، البر ٧٨/ ٤٩٥٢؛ أبو داود، الأدب ١٠.

36 الشهاب، مسند، ١١٩.



ولهذا السبب قد أكّد رسول الله ﷺ على محبة الأم بإصرار. وعندما سُئل عن منْ يجب احترامه وخدمته أكثر، قال "**أمك!**" ثلاث مرات، ثم "**أبوك!**".[٣٧]

كيف للزوجة التصرف تجاه أطفال زوجها والذن لم يولدوا منها، بل من الزوجة السابقة؟

ينبغي رعايتهم وكأنهم أبناءها. وينبغي ألا تضنّ عليهم بحبّها واهتمامها ورحمتها وخدمتها. وقد أظهر سيدنا رسول الله ﷺ الاحترام وقد أكنّ كل المحبة طوال حياته لفاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنه التي قامت برعايته في طفولته وأظهرت له الاهتمام مثل أمه الأصلية. وعندما توفيت هذه المرأة الصالحة جاء سيدنا رسول الله ﷺ إلى جوار جنازتها وجلس عند مقدمة رأسها وقد قال الآتي شاهداً في حضور الحق على تضحيتها وخدمتها:

"رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، وتشبعيني وتعرين، وتكسيني، وتمنعين نفسك طيبا، وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة"

---

٣٧ انظر: البخاري، الأدب ٢؛ مسلم، البر ٢،١؛ ابن ماجه، الوصايا ٤؛ أبو داود، الأدب ١٢٠؛ الترمذي، البر ١.



ثم أمر أن تغسل ثلاثا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاما أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ: فاضطجع فيه ودعى لهذه المرأة الصالحة.[٣٨]

إن هذا الحب والاحترام لسيدنا رسول الله ﷺ والشكر الذي شعر به تجاه حضن أمٍ مشفقةٍ، وتعبيره للوفاء والشكر، ما أجمله من عبرة ونموذجٍ من أجلنا نحن أيضاً. ومن جهة أخرى ما أجمل حال أمٍ تربّت على صدر يتيم هكذا بقدرٍ ينسيه حرمانه من الأم، والتي تحميه وتربّيه في حضنٍ من الشفقة، والتي تؤسّس عرشاً في قلب هذا اليتيم مرهف الحس والمحطّم، بتصرفاتها اللطيفة وكلماتها الحلوة. تلك الأم العظيمة ستصبح

٣٨ الطبراني، المعجم الكبير، جـ ٢٤، ٣٥١ -٢/ ٨٧١؛ الحاكم، جـ ٣، ١١٦ – ١١٧.



غارقة في الرحمة الإلهية بواسطة الأدعية التي ترتفع من قلب محطم طوال عمره بسبب هذه الذكريات الحلوة التي تركتها في قلب اليتيم.

وبنفس الشكل لو يُمضي الآباء حياتهم مع أطفالهم من زوجاتهم السابقات اللاتي قبل زوجاتهم الحاليات، ينبغي أن ينضجون بشكل لن يفرقوا فيه بينهم وبين أطفالهم الأصليين.

هل يمكننا يا سيدي أن نأخذ بعض النماذج التي تؤثر فينا من معاملة سيدنا رسول الله ﷺ للأطفال؟

كان سيدنا رسول الله ﷺ يُظهر حباً عميقاً للأطفال دائماً، ويقبّلهم ويربّت عليهم، وكان يصفّف شعرهم ممشّطًا إياه بأصابعه المباركة. وكان لا يحب من لا يُظهِرون المحبة للأطفال، وكان يصفهم بالغلظة والقسوة.

ووفقاً لما روته السيدة عائشة رضي الله عنها فقد «جاء أعرابيٌّ بعيداً عن رحمة وشفقة ولطافة ورقة الإسلام لزيارة سيدنا رسول الله ﷺ ذات مرة بينما كان يتودّد إلى أحفاده. واندهش من حبّ رسول الله ﷺ الشديد للأطفال وقال:



«يا رسول الله تقبّلونَ الصبيانَ؟ فما نُقبّلهم». وتأثر رسول الله ﷺ من قسوة قلب الأعرابي وعدم رقته تجاه نعمة الله بالولد وقال للأعرابي:

"أوَ أملك لك أن نَزعَ الله من قلبِكَ الرحمة".[٣٩]

وبمقتضى الحديث الشريف، ينبغي أن يعيش قلب المؤمن مملوءاً بالمحبة والشفقة والرحمة تجاه ودائع الله (الأطفال) وينبغي أن يدرك كيف وإلى أين سيوجّه الشفقة والمحبة.

وقد أظهر سيدنا رسول الله ﷺ أنه يجب تحمّل جميع هذه الأحوال الكئيبة للأطفال من خلال قوله لأمّ الفضل التي همّت بضرب حفيده الصغير الذي بال عليه ذات مرة قائلةً:

«آذيت رسول الله ﷺ بلت عليه»

فقال:" **أوجعت ابني رحمك اللّه**".[٤٠]

و كان الرسول ﷺ يدخل في صلاته وأحفاده في حضنه المبارك، حتى إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره

٣٩ البخاري، الأدب، ٢٢/ ٥٩٩٨.

٤٠ ابن ماجه، التعبير، ١٠/ ٣٩٢٣.



وكان ﷺ يُطيل السجدة، فيقول النبي ﷺ للذين أرادوا التدخل بينه وبين الطفل:

"دعوا الطفل ليقض حاجته".

وكذلك كان رسول الله ﷺ نور الوجود يُقصِّر الصلاة عندما يسمع بكاء طفل. وذات مرةً قصَّر الصلاة لبكاء طفلٍ بينما كان في أثناء صلاته في البيت وقال لأهل البيت:

"ألا تعلمون أنّ بكاءهم أحزنني".

ويحكي أنس رضي الله عنه الذي قضى في خدمة رسول الله ﷺ عشر سنين اعتباراً من عمر العاشرة :

"خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟".[41]

وبالتالي فقد تحلّى الأطفال الذين نشأوا في الحضور العظيم لرسول الله ﷺ بجمالٍ وفراسةٍ مختلفين تماماً. ومن قبيل المثال على هذا ثمة رواية معبّرة جداً لسهل بن سعد رضي الله عنه في هذا الشأن:

---

٤١ البخاري، الصوم ٥٣، المناقب ٢٣؛ صحيح مسلم، الفضائل ٨٢، ٥١/ ٢٣٠٩.



أن سيدنا رسول الله ﷺ أُتي بشراب. فشرب منه. وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ. فقال سيدنا رسول الله ﷺ للغلام: " **أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء**"

فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحداً! قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده.[٤٢]

وهذا الحديث مهم جداً من ناحية إظهار القدر الذي أعطاه رسول الله ﷺ للأطفال وتدفقات المحبة المتبادلة.

زارنا رسول الله ﷺ فبات عندنا والحسن والحسين نائمان فاستسقى الحسن فقام رسول الله ﷺ إلى قربة لنا فجعل يعصرها في القدح ثم يسقيه فتناوله الحسين ليشرب فمنعه وبدأ بالحسن فقالت فاطمة: يا رسول الله كأنه أحبهما إليك فقال: "**لا ولكنه استسقى أول مرة**"

ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ الآتي:

"**سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحدا لفضلت النساء**".[٤٣]

---

٤٢ البخاري، الأشربة، ١٩/ ٢٤٥١.

٤٣ انظر: ابن حنبل، جـ ١، ١٠١؛ ابن حجر، المطالب العائلية، جـ ٤، ٦٩؛ الطبراني، المعجم الكبير، جـ ١١، ٣٥٤/ ١١٩٩٧.

وقد أعطى رسول الله ﷺ أهميةً كبيرة جداً لتربية الأطفال، وقد علَّم أصحابه بأحاديث شريفة كثيرة جداً في هذا الأمر:

"أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم".[٤٤]

"ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن".[٤٥]

"لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع".[٤٦]

"إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".[٤٧]

"حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويحسن من مرضعه، ويحسن أدبه".[٤٨]

"مَنْ عال ثلاث بنات فَأَدَّبَهُنَّ وَزَوَّجَهُنَّ وأحسن إليهن، فله الجنّة".[٤٩]

---

٤٤ ابن ماجة، الأدب، ٣/ ٣٦٧١.

٤٥ الترمذي، البر، ٣٣/ ١٩٥٢.

٤٦ الترمذي، البر،٣٣/ ١٩٥١.

٤٧ مسلم، الوصية، ١٤/ ١٦٣١؛ الترمذي، الأحكام، ٣٦/ ١٣٦٧.

٤٨ البيهقي، شعب الإيمان، جـ٦، ١١، ٤٠١-٤٠٢/ ٨٣٠٠.

٤٩ أبو داود، الأدب ١٢١/ ٥١٤٧؛ ابن حنبل، جـ٣، ٩٧.



وقال رسول الله ﷺ:

"من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو" وضم أصابعه.[50]

"من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنّ له ستراً من النار".[51]

أهناك صحابة آخرين قضوا طفولتهم ضمن تربية سيدنا رسول الله ﷺ كسيدنا أنس رضي الله عنه؟ هلّا ذكرتم بعضاً من الأمثلة ؟

من الطبيعي أنه يوجد كثير من الصحابة هكذا. وبلا شك يأتي على رأس هؤلاء سيدنا علي الذي آمن وهو ما زال في سنّ الصغر. وملأ سيدنا علي ابن عم الرسول ﷺ قلبَه بالمعرفة خلال التربية المباركة لسيدنا الرسول ﷺ. وأصبح باباً للعِلم. وشكَّل بدايةَ سلسلةِ تصوفٍ ستستمر حتى القيامة.

---

٥٠ مسلم، البر ١٤٩/ ٢٦٣١؛ الترمذي، البر ١٣.

٥١ انظر: البخاري، الزكاة، ١٠، الأدب، ١٨؛ مسلم، البر ١٤٧؛ البيهقي، شعب الايمان، جـ ١١، ١٤٢/ ٨٣٠٨.

وكان أخاه جعفر الطيار أيضاً مثالاً مختلفاً تماماً لمحبة الرسول ﷺ.

وصارت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سيدة الأمة. وأخذت لقب «أمّ أبيها» من أجل صحبتها المباركة لأبيها وسلوكها الراقي الذي أظهرته بينما هي في سنٍّ صغير جداً. وقد صار ابنها سيدنا الحسن تاج رأس الأشراف، وسيدنا الحسين تاج رأس السادة أيضاً.

وقد اختار مصعب بن عمير جوار رسول الله ﷺ رافضاً جميع ثروة أسرته المشركة. وصار مثالاً بلا نظيرٍ للتضحية وللتفكير في الآخرين في سبيل الإسلام. ومحبته لرسول الله ﷺ حملته حتى إلى التضحية بروحه في سبيل هذا.

وقد عُيِّن أسامة بن زيد قائداً لجيش الإسلام من طرف رسول الله ﷺ بينما كان في العشرين من عمره.

ويوجد الكثيرون جداً كذلك من الذين سنستطيع إحصائهم من الأطفال الذين شبّوا في حِجر رسول الله، إلا أن هذا الذي سردناه هو كافٍ على كل حال في سرد الأمثلة...



يا سيدي لو سمحتم لنا، نريد التحدث قليلاً عن سنوات الطفولة الشخصية. فعلى سبيل المثال هل توجد ذكريات ظلّت من تلك السنوات ولم تستطيعوا نسيانها؟

يوجد لدى كل إنسان ذكريات كثيرة جداً من طفولته. وبعض هذه الذكريات تركت آثاراً عميقة في الإنسان. وأنا أريد التحدث عن مجموعةٍ من ذكرياتي التي تركت تأثيراً كثيراً جداً على نفسي أيضاً.

مرّت طفولتي في « أَرَنْ كُوْيْ». وكان حول المنازل في ذلك الوقت مكانٌ تكثر فيه الحدائق والبساتين. بالإضافة إلى ذلك كانت توجد حجرة للضيوف في الطابق السفلي وكانت هناك زياراتٌ حميمية ورائجة (مفعمة بالحياة). والمنزل يفيض بدعوات الإفطار في شهور رمضان على وجه الخصوص.

وأما الناس فيُدعَون من نِحلٍ وفرقٍ مختلفة في أيام مختلفةٍ إلى الإفطار: فذات يوم كان يُدعى السائقين وفي يوم آخر العمال ويوم آخر جامعي القمامة ويوم الحرفيين و يوم المعلمين وهلمّ جراً. وبعد الإفطار كانت تُقدّم إليهم هدية شاعت باسم «إيجار الأسنان».



وهذه الهدية كانت أحياناً قماشَ ملابس، وأحياناً أخرى مقداراً من المال داخل مظروف طبقاً لحالة المخاطب (المدعو). وبعد صلاة التراويح كان يتمّ شرب الشاي وتتحدّث كل مجموعةٍ عن أمور دنياهم. وكانت تلك اللحظات هي أجمل الأوقات التي اختلطت وتآلفت القلوب فيها مع بعضها.

وأحد الأمور التي كانت تلفت انتباهي في فترة طفولتي العلاقات الطيبة التي كانت بين الجيران أيضاً. كان الجار يعامل جاره معاملة الأقارب. وكنا نخلط بين جيراننا وأقاربنا ونحن أطفال. وكان الجيران الأثرياء كحضنٍ من المودة والرحمة على المحتاجين. وكان سكان الحي يُسدون إلى الفقراء والمساكين كلّ ما يحتاجونه، ويجهّزون جهاز العروس للبنات اليتيمات بالتعاون معاً.

وفي تلك الأوقات كان وباء السلّ منتشراً. ولا وجود للمضادات الحيوية. وكان مرضى السلّ يتعالجون في أماكن غابات الصنوبر كثيراً. كما كان أهل الحي يُظهرون شفقةً كبيرة لهؤلاء الشباب المصابين بمرض السل. لأن علاج الشباب المصابين بمرض السلّ كان من خلال



استنشاق شجر الصنوبر في أماكن غابات الصنوبر فقط. وكثيراً ما كانت تحدث حالات وفاةٍ في عمرٍ مبكر. وكان الجيران وسكّان الحي الرحماء يحضّرون لهم الأغذية التي تكوِّن الدم.

وكانت زيارات المرضى هي العمل الأول لكل عائلة. وتُرْفَق الزيارات بطعام مثل الحساء والمهلبية يتم تقديمه وفقاً للحالة الماديةً. وأما الزيارات فكانت قصيرة، مع إدخال السرور على قلب المريض.

والجنازات على هذا النحو أيضاً. حيث تُقام ختمات القرآن والأدعية بشكل جماعي. مع تقديم الطعام لبيت الجنازة مدة ثلاثة أيام.

لقد كان من النادر جداً تواجد ثلاجة قبل خمسين عاماً. فتُعلق الجرار على الآبار الموجودة في الحدائق من أجل التبريد. وكانت الأسر التي عندها ثلاجة تهدي الثلج لجيرانها في المساء. فيرسلون هذه الهدايا وما شابهها مع الأطفال على وجه الخصوص أيضاً، وكانت تُعد لهم في سن صغيرة ساحة التدريب على الإيثار والتعاون والخدمة.



وكان ساحل «أرن كوي» فارغاً في طفولتي. فتوجد في الأماكن التي يلتقي فيها البر بالبحر ساحة رملية بقدر مترين تقريباً. فنبني فيها بيوتاً من الرمل مع الأطفال هناك. وبعد مدة كنا نختلف فيما بيننا أيضاً ونتنازع قائلين «أنت أخذت مكاني!»، «لا أنت أصلاً دخلت إلى حدودي!». ثم تأتي موجةٌ وتدكّ وتزيل بيوتنا من ذلك الرمل التي لم نستطع أن نتشاركها.

وهذه الذكريات تجعلنا نفكر اليوم في أنه يوجد فرقٌ بدرجة واحدة فقط فيما بين الكبر والصغر. ويشغل الإنسان كلما تقدم في العمر الطموحات المختلفة والتي لا تصدق والاضطرابات الفارغة ولكن في النهاية ينتهي كل واحد بزلزال أو موجة النفس الأخير...

وبحكمةٍ بالغة هو أن هذا القدر هو نهاية الحياة لأولئك الذين أصابهم العمى عن التنظيم الإلهي، وكم هو خداع مفجع.

واللحظة الأكثر إثارة التي شعرنا بها نحن في زمان طفولتنا، إنما كانت في اليوم الذي أُذِن فيه برفع الآذان المحمدي بشكله الأصلي. وانتظر كل شخص آذان



الفجر من خلال الاستيقاظ مبكراً تلك الليلة. وكأن تلك الليلة كانت ليلة الاستعداد لصباح عيد. حتى أن أمي نبهتنا منذ المساء قائلةً:

«سيُرفع الآذان الأصلي هذا الصباح؛ فلنستيقظ مبكراً لعلنا لا نفوّت تلك اللحظة أيضاً!». وقد دخل أهل البيت في أجواء مختلفة من الإثارة.

وكأن ذلك الصباح قد غمر القلوب بالشعور والإثارة المعنوية الموجودة عندما رفع سيدنا بلال الآذان الأول على سطح الكعبة، وكان مثل رياح الصباح (رياح الصبا) تعكس أصداء آذانه الموجود في المدينة. لأن الآذان كان شوقاً وحنيناً مختلفاً تماماً من أجل أمتنا.

وبناءً على هذا نعيش كلنا أحياناً هذا الشوق أيضاً عندما نغادر تركيا. وعندما نعود إلى الوطن يغرق قلب الإنسان في سرورٍ وإثارة متميزين أيضاً.

ليحمي الله القرآن والآذان ورايتنا ووطننا وأمتنا من كل أنواع الشرور. وليحفظهم من الأشرار...آمين!..



هل ثمة هناك شخصياتٌ أثّرت فيكم بعمقٍ في طفولتكم؟

توجد شخصيتين محترمتين على وجه الخصوص كان لهما أكبر التأثير عليَّ في سنوات طفولتي. أمي وأبي... وعلاوة على هذا بيئة جميلة بالطبع أيضاً...

كانت أمي شخصية مباركة وذات روح ملائكية حشدت الكثير من الخزائن القيّمة في عالم قلوبنا منذ نعومة أظفارنا. وكانت تلقّننا محبة أولياء الله بكل وسيلة، وتزرع الفضائل النورانية في حدائق قلوبنا بفراستها. وكونها حافظة للقرآن الكريم بالرغم من خدمتها لطفلين ومشاغلها الأخرى يعني بعد أن ولدت أخي، سعيهاوبذلها الجهد في حفظ القرآن أثر كثيراً عليّ من ناحية السعي في سبيل الحق وعشق القرآن الكريم.

أما أبي فكان شخصية مثالية بالنسبة لي من كل النواحي بما يتميز من صفات من عشق لله والوجد والإيمان والإخلاص والتقوى والأخلاق الحسنة والوقار وغيرها. وكان صاحب إحساس عميق. وإنسان الآفاق الراقية. فعلى سبيل المثال كانت قد افتتحت في ذلك الوقت حديثًا ثانوية الأئمة والخطباء وكان لا



يوجد مستقبل دنيوي قط لأجل الخريجين منها. لكن أبي قد سجّلنا بسعادةٍ بالغةٍ في تلك الثانوية. وجعلنا ندرس السنة الأخيرة داخلياً (أي مدرسة داخلية) . وكان يتم التجوال بنا في أيام العطلات على الجوامع وقصر طوب قابي والأماكن التاريخية الأخرى، وكانت تُحكى لنا الخدمات والتضحيات التي قام بها أجدادنا للدين والإيمان والوطن والأمة بما يتوافق ومستوى عقلنا وكذلك أعمالهم المعنوية الأصيلة. إلى جانب توجيهنا لأن نكون ذرية جديرة بهم. مع الحرص على زيارة كبار الأساتذة من حينٍ لآخر، وزرع العطف والحنان والتربية الموجودة فيهم في عقولنا. إضافة إلى تعريفنا بأناس ذوي قلوب مثالية.

أما حب أبي للفقراء فكان مثل البحر الواسع. وكان يشكرهم عندما يقبلون أي خدمة سيقوم بها لهم. وعندما كان يعطي هدية مادية يقدمها داخل أظرف أنيقة. حتى أنه كان يكتب على الأظرف عبارة «أشكركم من أجل أنكم تفضلتم بالقبول!». وكان هذا الحال نتيجة طبيعية للتعامل معهم بلطفٍ ورقةٍ من خلال حبّ المخلوقات من أجل الخالق. وكان يصنع الطعام مع أمي للمرضى



ويحضرونه معاً إلى المستشفيات. و مظاهر الرحمة تلك في تلك السن المبكرة تعمل في روحي مثل أي نقش دون أن أميّز. وجملة القول أن أمي وأبي كانا بالنسبة لي رحمة وبركة عظيمين.

وكذلك من أهم الأحداث والذكريات الكثيرة التي أثرت عليّ علاوة على ذلك وترجع إلى وقت طفولتي، تأتي السنوات التي درست فيها في ثانوية الأئمة والخطباء.

ولا سيما أننا كنا محظوظين جداً من ناحية الأساتذة الذين حضروا إلى فصولنا الدراسية. وقد أَلفنا ملامح وجوههم الكريمة جداً والتي لا تُنسى. ومن هؤلاء:

الأستاذ «جلال الدين أوكتم» وكان شخصاً في السبعين من عمره، يعاني من مرض الشلل الرعاش. وبالرغم من هذا كان يأتي إلى الصف الدراسي متكئاً على كتف أحد أصدقائنا. و يشرح الدرس بحماسة شاب في الخامسة والعشرين من عمره...

وكان «عبد القادر كتشه أوغلو» الذي قُدّر له الإيمان بينما كان من جماعة الروم في الأصل، والذي عُرف



بلقب «يمان ده ده» كان بعد أن يشرح قواعد اللغة الفارسية لمدة عشر دقائق يقرأ بيتين من المثنوي، وكان يشرح جميع الدروس باكياً. وقد تجوف تحت عيناه مثل البركة. وبينما كانت دموعه تسيل من هناك وتنهال من وجهه إلى الأسفل كانت تنشر روحانية مختلفة. وكان قلبه مختلفاً تماماً وممتلئاً بحب الرسول ﷺ. وعندما قُيل له:

«لكم تحب مولانا ؟!»

فكان يعطي ذلك الجواب الذي يفيض من عالم القلب:

«يا بني، كيف لي ألا أحب مولانا، وقد أخذني من يدي ومن قلبي، وأحضرني إلى باب رسول الله ﷺ».

وجاءت ومضت كثير من الأشياء التي استفدناها منه منذ ذلك اليوم وحتى هذا اليوم. ولكن بقي من ذلك آثار وجد القلب الذي عكسه في روحنا. ولا يزال أمام عيني ارتجافه الذي أشبه بغزل الخريف، وبكائه الذي مثل ندى الربيع بينما يقرأ مصراع «أفرحنا بجمالك فقد احترقتُ يا رسول الله» من النعت المشهور الذي كتبه...



ولدينا أستاذٌ آخر كان يأتي في الساعة السابعة صباحاً، ويضع لنا الحساء. ولدينا أستاذ آخر كان إذا رأى قطعة خبز بقيت على مائدة الطعام يسدي نصائحه بشكل حسن دون أن يوبخ أي أحدٍ قائلاً:

«انظر يا بني، هناك كثير من المحتاجين لا يستطيعون أن يجدوا هذه النعمة. فلو أننا احترمنا النعمة ونحمد الله عليها، لزادنا أكثر. ولو أننا لا نعلم قدرها، يأخذها من بين أيدينا».

أما «نور الدين طوبتشو» أستاذنا لفريق الفلسفة فكان يحزنه كثيراً وجود الأنانية وحب الذات بين الأفراد في المجتمع، وكان يشوبه الهم لعدم إحياء الإسلام في حياة الفرد والمجتمع، فيعبر عن حيرته قائلاً:

«لماذا يظلّ هؤلاء الناس غير مهتمين بالتصوف إلى هذا القدر؟!».

وكان لدينا أستاذ آخر يلقي درس حسن الخط. إلا أنه كان يحضر البوص والحبر بنفسه للطلاب.

وواحد آخر يتجول ليلاً في مكان المبيت، ويغطي من اكتشف غطاؤه.



وبعض أساتذتنا أيضاً كانوا يلقون دروساً إضافية عقب الدرس النهائي من أجل تلافي قصور الطلاب الذين تأخروا في تحصيل دروسهم، فيبذلون الجهد بحماسٍ لا ينضب من أجل تعليمٍ أفضلٍ لكل طالب.

أما الأمر الذي سعى أساتذتنا لتعليمنا إياه أكثر، فكان درس معرفة كيفية استخدام الروح والمال. وكانوا يعرضون هذا الدرس بسلوكياتهم الفعلية.

مضت أربعون سنة منذ تلك الأيام حتى هذا اليوم. إلا أنه لم تُمح حتى الآن تأثيرات البشر الطيبين في تلك الأيام علينا. ومن أجل أن تأثيراتهم اللاهوتية والمباركة حية ومؤثرة في عقولنا وقلوبنا حتى الآن... فأنا أدعو كل وقت للذين جمَّلوا تلك اللحظات... ليرضى الحق سبحانه وتعالى عنهم جميعاً!.. لكن ليجمِّل زمان هذه الأيام وأزمنة المستقبل... وهذا يقع علينا أيضاً. وليوفق الله سبحانه وتعالى جميعنا لهذا!..



يا سيدي، وإذا جئنا إلى هذه الأيام، فيا تُرى ما هي المخاطر التي تنتظر أطفالنا اليوم؟ وما هي مسؤولية الأمهات والآباء تجاه هذه المخاطر؟

تأتي على رأس المخاطر التي تنتظر أطفالنا اليوم هي تربيتهم بعيداً عن الروح المعنوية (الأخلاقيات). يعني إغلاق النافذة الأخروية كنتيجةٍ للتعليم المتوجه للدنيا فقط... أي أن تصبح حياة القلب مبتلاةً بالضعف... ويجب معرفة أن أي جيل لا ينبت بالسمات والفضائل الأخروية لا يستطيع أن يعثر على الأمان؛ حتى وإن امتلئت جعبته بلفائف الشهادات... وتوجد أمثلة حزينة لا تعد ولا تُحصى من حطام الأجيال في المجتمع. وتوجد اليوم عادات سيئة جداً. وخاصة في الذين يسلّمون أرواحهم لقبضة المخدرات، وعدم صون كرامة الأنوثة وانتهاك العفة التي تبثّ سمّها صوب الأجيال الصغيرة باستمرار...

هذا كله يوضّح بصورة جلية جداً مدى المخاطر التي تنتظر أبنائنا. ولو كنا نرى هذا، نعي جيداً أن الحلّ ممكن بإقرار الإيمان وأخلاقه العظيمة في الصدور. فكيف للقلوب التي لم تتعرف بنور الوحي أن تستطيع أن تعثر



على السعادة الحقيقية؟ وينبغي علينا أن نقف على ذلك الحسّ الراقي لشاعر الاستقلال محمد عاكف في هذا الصدد:

ما أعظم الإيمان، ذلك الجوهر الإلهي

فالقلب الصدئ الذي بلا إيمان يكون عبئاً في الصدر...

إن الجهل بالأمور الدينية هو ظلامٌ مخيف جداً. لأن المرء يصبح عدواً لما لا يعرفه. فالبعد عن الدين يصبح سبباً في الحرمان من الأحاسيس الروحانية ويضيّق أفق الوجدان. ويُطفئ الأنوار الداخلية والخارجية. ويُحرِم من الحكم الدقيقة للكتاب والسنة ومن النور الروحاني. وتُفقِد الإنسانَ الجواهر التي أُنعم بها عليه من قِبل الخالق، وتحوِّل المرء إلى كيس من الجلد مملوء لحماً وعظماً، حتى أن هذا يجعل الإنسان يفكر في منفعته فحسب.

وتوجد قصةٌ تُروى كثيراً ومعروفةً فيما بين الناس. كلما رأى الأب ابنه محروماً من الدين والديانة والفضيلة يقول: «يا بني، أنت لن تصبح رجلاً!..». ويعاند الطفل أباه، ويذهب للمدارس، ويكمل تعليمه ويصبح والياً على المدينة الموجود بها. ويرسل رجاله إلى أبيه من أجل



تذكيره بكلامه ويدعوه إلى مجلسه. وعندما يأتي أبيه إلى مجلسه يقول:

«يا أبي يا أبي!.. أنت كنت تقول لي أنني لن أستطيع أن أصبح رجلاً؛ هل رأيت أنظر ها أنا أصبحت والياً!..».

فينظر أبيه إلى ابنه بشكل معبّر ويجيب بالآتي:

«يا بني، أنا لم أقل لك لن تستطيع أن تصبح والياً؛ بل قلتُ لن تستطيع أن تصبح رجلاً. ولو أنك أصبحت رجلاً، لكنتَ لا تستدعي أبيك إلى مجلسك، وكنتَ تذهب إلى قدميه بنفسك!..».

هو بالضبط كما في هذا المثال، يولّد إهمالُ التربية الدينية مرضَ عبادة المادة، حتى أنه هو أيضاً من الأسباب الأساسية للبعد عن الدين.

وعبادة المادة هي ليست فلسفة بل هي زلة. وليست حكمة بل هي مرضٌ وظلمة. وهي تعني تخدير الأحاسيس المعنوية، وتحويل المجتمع إلى جثة حية، وبتعبير آخر الدفن تحت الحجر والتراب قبل الموت.

ويجب تسليم القلب بتحذيرات القرآن الكريم من أجل إمكانية وصول البشرية إلى شرف الإنسانية.



يخبرنا الله ﷻ بأعظم نعمه على النحو التالي:

﴿**الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ. وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾ (الرحمن، آية ١-٧)

فلا تفسد أنت هذا الميزان بعد ذلك أيضاً .

يخبر ربنا ﷻ الذي زيّن الدنيا بالمعايير والموازين الإلهية، وبالموازين القرآنية خلافاً عن معيار ونظام الكون أنه توجد موازين مثل التي في الدنيا بعد الموت. فالدنيا والآخرة مملوءتان بكل الموازين. فالحياة والموت هي موازين مختلفة تماماً وحساسة لا تُخطئ.

ومن الضروري أن تكون كل أحوالنا في إطارِ موازين، وأن يكون هناك نموذجاً للعبادة والحال والسلوك والأخلاق للجيل القادم. وقد ورد في الآية الكريمة:

﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ (الزلزلة، ٧-٨)

وبينما تُزَيَّن الدنيا بالمعايير والموازين الإلهية ويعرض لنا القرآن الموازين، كم هي غفلةٌ مدهشة

ومحزنة حال الذين يعيشون في عشوائية والذين هم خارج هذه المعايير الإلهية.

وفي ضوء هذه الآية الموجودة في سورة الرحمن، من الضروري شرح وتعليم سر الخلق والقرآن والعبودية في شكل ما أجمله لأبنائنا.

وباختصارٍ ينبغي تربية أولادنا في إطار سيحفظ مكانتهم الطيبة والكريمة بما لا يفسد التوازن والاتزان الإلهي في الكون الذي ورد في الآية. وبلا شك أن هذا سيتجلّى في معسكر الأسرة من القلوب الماهرة للأم والأب.

وأما تجلٍّ كهذا فهو نتاج الأمهات والآباء الذين يفكرون بصورة جدية في مستقبل الطفل. ومن الطبيعي أننا نقصد مستقبلاً أبدياً يمتد إلى سعادةٍ خالدة في نفس الوقت وليس مستقبلاً محدداً إلى هذا اليوم. فمع الأسف يُلقى بمستقبل أبناءنا في الخطر في سبيل إنقاذ يوم واحد فحسب من خلال تسمية المستقبل باسم هذا اليوم. وكثيرٌ من الأمور الخاطئة كلها تجرّ أبناءنا إلى الذنب والعصيان في أرض الحق بأعذار «مستقبل ابننا مهم جداً، ماذا يلزم علينا أن نفعل!». حيث أننا:



لو ربينا ابننا على المشاعر الروحية بأي قدر، فبذلك القدر سيجعل الحق سبحانه وتعالى مستقبله مشرقاً. وسر التوسع العثماني إلى أربعة وعشرين مليون كيلو متر مربع، ينبع من هذا المنهج. أي أن عون الله في الأوقات الصعبة مرتبط بهذا أيضاً. فالانتصارات الأخيرة لحرب جناق قلعة والاستقلال هي أيضاً بركة وتجلٍّ لهذه الحقيقة.

وما أجمل ما يعبر به الشاعر محمد عاكف:

ينبغي علينا أن نستمد الإلهام من القرآن الكريم مباشرة

وينبغي علينا أن نجعل الإسلام يتكلم لإدراك العصر!..

وفي تلك الحال نحن مضطرون إلى تربية أطفالنا كأبناء مبشرون بالخير الذي سيمتلكونه لأنفسهم ولأسرهم، والأهم من ذلك لدينهم ووطنهم وأمتهم عن طريق التربية على أخلاق القرآن وفكره واستقامته إلى أقصى حد. وما أجمل ما يوضح به الشاعر محمد عاكف هذه الحال في مصاريع أبياته:

غرقت الأمة وهي بلا حام للحق،

لو تصبح أنت الحامي لن يغرق هذا الوطن.



هذا وأيضاً كما أفدنا هو الوظيفة الأولى للأمهات والآباء قبل كل شخص. وينبغي معرفة أن الانتصارات الكثيرة والعظيمة مثل حرب جناق قلعة والاستقلال، كما أنها صارت أثراً للقائد والغازي والشهداء الذين لعبوا دوراً في تلك الانتصارات في الظاهر فهي من ناحية أخرى أثراً للأمهات والآباء الذين أرسلوهم للدفاع عن الوطن من خلال تربيتهم وتنشئتهم.

وعلى هذه النتائج يشير الشاعر بحسرةٍ إلى حال عش الأسرة اليوم وكيف ينبغي أن يكون:

أيها الأب الانهيار في البيوت وليس في الجبال،

وأحياناً التلفاز إعصارٌ على روح الطفل!

ليُزرع الورد من جديد ويكون البيت جنة المرء،

أيتها الأم، هذه الوظيفة لكي فحققي الحب في البيوت!...

(الشاعر سيري)



بينما تسعى بعض الأسر من أجل أن يكون لهم أطفال، قسمٌ آخر من البشر لا يريدون أن يكونوا أصحاب أطفال مطلقاً، وعادة يبذلون ما في أيديهم من أجل هذا. هل هذا تصرف صحيح؟

إن الذين يتزوجون ولا يريدون الأطفال بدون أن يكون هناك سبباً ضرورياً أو مشروعاً، أو الذين يسعون لإهلاكهم كذلك بالمداخلات المتنوعة في رحم الأم، يتسبّبون في هلاك النسل أيضاً.

وبأي منطق وضمير يمكن تفسير مساعيهم لتعطيل جوهر نسل الإنسان الذي هو أرقى المخلوقات، بينما تقدّم النباتات والحيوانات آلاف الدلائل المتنوعة من أجل استمرار أنسالهم. حتى أن الثعبان يخبئ بيضه بطريقة آمنة من خلال تركه في مكان منعزل، ويحافظ عليه.

ومن المؤلم جداً حرمان الإنسان الذي هو أرقى وجود في الكون من مشاعر هذه الشفقة والرحمة في مقابل الحيوانات التي تسعى في إطار شعور حماية أنسالها!..



وقد ورد في الآية الكريمة من خلال لفت الانتباه إلى أحد المشاهد في يوم القيامة:

﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قتلت﴾ (التكوير، ٨-٩)

ومع الأسف إنه لعارٌ على البشرية أن تتكرر تلك الجنايات التي قبل حدثت ألف وأربعمائة سنة في يومنا الحاضر من خلال تغيير الأسلوب في شكل «الإجهاض».

فبعض الأمهات والآباء في عصرنا يسعون لإجهاض الطفل وهو جنين من أجل الراحة والرفاهية والأنانية البحتة دون أن يكون هناك ضرورة. كأن يتم التضحية بما يقرب من نصف البنات الذين وُئدوا أحياءاً في التراب بجناية حديثة من خلال إزهاق أرواح الأطفال الرضّع الأبرياء الموجودين في بطن الأم بلا مبرّر كذلك، والدخول في سباقٍ وحشي مع أهل الجاهلية الهمجيين. وهذا هو في المقام الأول جحود بالنعمة الإلهية. وعلاوة على هذا فإنه مجهول أية مفاجآت في الحياة التي سيقاسيها الذين يفعلون هكذا. وينبغي على الذين يرتكبون هذه الجريمة أن يفكروا جيداً في أن ما سيحدث لذلك الطفل ربما سيصبح بأيديهم سبباً



في بقائهم وحيدين في الحياة غداً. أو لو كان أمهاتهم وآبائهم هم أنفسهم في الزمن الماضي لم يريدوهم أيضاً ولو كانوا يروا من أجلهم استحقاق نفس العاقبة ما استطاعوا أن يكونوا موجودين في الحياة اليوم. وينبغي عليهم أن يعملوا حساباً لذلك.

وبسبب الحرمان من الدين والإيمان؛ فقد شهد تاريخ العالم مراتٍ لا تُحصى ولا تُعد كيف شكَّل جيل أناني يعيش الحياة في مخطط سطحي بحتٍ - والذي ليس لديه فكر غير تلبية رغباته الأنانيةً والذاتية، والذي ودَّع شرف وكرامة الإنسانية - مشاهد الكوارث.

ليُنعم الله علينا جميعاً بتأسيس عش أسرتنا بكل الخير، وأن نخدم أمة محمد ﷺ وجميع البشرية من خلال تربية أجيالٍ مبشرة بالخير من هذه الأسرة. آمين...

مكانة المرأة في الإسلام

وتعليم البنات



إن فضيلة وعفة المرأة تحوِّل المجتمع إلى جنة. وتصبح الأجيال التي تَشُبُ في تلك الجنة مصدراً للسلام في المجتمعات أيضاً. ومن أجل هذا فالمرأة الصالحة في الأسرة مثل ثريا بللورية للمجتمع.

مكانة المرأة في الإسلام وتعليم البنات

ما هي مكانة المرأة في الإسلام؟ تُدفع النساء في يومنا الحاضر إلى البحث عن السعادة في الشوارع بالوسائل المتنوعة والكلمات الذهبية. أين ينبغي أن تبحث النساء عن الأمن والسعادة؟

لقد خلق الحق سبحانه وتعالى المرأة أغنى من الرجل من حيث العواطف. وهذا الغنى في العواطف والمشاعر هو بمقتضى وظيفة أساسية أسندها الله للمرأة. وهذه الوظيفة هي رعاية وتربية الذرية. وعند الخروج خارج هذا التنظيم الإلهي، يصبح إهانة لفطرة المرأة.

وقد بُدِء في عصرنا سباق مساواة التوفيق فيما بين الرجال والنساء. وهذا السباق الذي هو ضد الخصائص الموجودة في الخلق، قد قوّض وظائف الأنوثة والأمومة، وأضاع هدوء وسكون الأسرة، وهزّ حياة المجتمع، وأضاع شخصية الأفراد.



إن الخلقة الفيزيائية البدنية والروحية والفطرية للمرأة والرجل ليست متساوية، فكيف يكون التساوي في الأفعال أو الحقوق. إن ما يهم هو التوازن والتساوي في الحقوق والواجبات وليس المساواة في كل مجال.

وقد وهب الحق سبحانه وتعالى كفاءات مختلفة لكلاهما وقسَّم كثيراً من الواجبات الجميلة فيما بين النساء والرجال الذين يكمل بعضهم البعض. وعندما يجتمع الرجل والمرأة مادياً ومعنوياً يظهر نضج مناسب لغاية الخلق، وتصبح الأسرة والمجتمع آمنين كنتيجة لهذا.

إنّ نضج المرأة يظهر برعاية وتطوير خصائصها الجميلة التي وهبها الله إياها. وتوجه المرأة هذه الخصال التي تملكها في شكلٍ معاكسٍ للتنظيم الإلهي، ولو أنها تودّع حقيقتها وشرفها تمحو قدرها وتضيع بهاءها وأدبها ورقتها. وهكذا تفسد حياة المجتمع.

وحياة المرأة طبقاًلخلقتها تحوّل المجتمع إلى جنة. والمرأة في الأسرة هي مثل ثريا بللورية للمجتمع. وعندما نقلّب صفحات التاريخ نريأن المجتمعات صارت عامرة بالنساء وصارت تارة سيئة للغاية بأيديهن.



ولو تُظهر الطرق للنساء من أجل سعادتهن، لامتلأت طرق الحياة بحطام الزجاج.

إن سعادة المرأة هي في حياتها من خلال حماية شرفها وفي رعاية أسرتها.

"الجنة تحت أقدام الأمهات".[٥٢] [٥٣]

والحديث الشريف هو بشارةٌ ما أعظمها لسيدنا رسول الله ﷺ من أجل الأم الحقيقية.

إن المرأة الفاضلة هي حضنٌ من الرحمة يتسع بالقدرة الإلهية، وهي مصدر السعادة في الأسرة، وضوء المتعة والصفاء، ومركز الشفقة لأفراد الأسرة. وهي محل مميز وأساسي لتجلي أسماء ربنا "الرحمن" و"الرحيم" في الدنيا.

ولم يُخلق مخلوق آخر يستحق الحب والاحترام الذي سيظهر لأمهاتنا اللآتي حملننا أولاً مدة في

٥٢ الشهاب، مسند، ١١٩؛ السيوطي، القاموس الصغير، جـ١، ١٢٥.

٥٣ أما عن حديث شريف مماثل فهو كالآتي: جاء صحابي اسمه «جاهمة» إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت الغزو وجئت أستشيرك؟، فقال له رسول الله: "هل لك من أم؟". قال: نعم. فقال سيدنا رسول الله: "فالزمها فإن الجنة عند رجليها". (النسائي، الجهاد، ٦)



بطونهن، ثم على أذرعهن وفي قلوبهن حتى الموت. وتستحق الأم التي أخذت على عاتقها تنظيم وتربية الأولاد الحب الكبير جدًا والاحترام العميق والشكر طوال العمر.

هل يوجد مقياسٌ يمكن من خلاله تحديد حدود الشفقة الشاسعة والمتراكمة في روح أي أم؟ فهي لم تأكل وأطعمت، ولم تلبس وألبست، ولم تنم وأنامت... وهل من الممكن إيفاء حقوق الأمهات والآباء الذين أوقفوا كل حياتهم لكي لا يشوبنا الغبار والتراب في عواصف الحياة؟

ويقول حضرة مولانا الآتي:

«انتبه إلى حق الأم! واجعلها تاجاً على رأسك! لأنه لو لم تعاني الأمهات آلام الوضع والولادة لما وجد الأطفال طريق المجيء إلى الدنيا».

كان حضرة الإمام الأعظم الولي العظيم وعالم الفقه الإسلامي قد رفض قضاء بغداد من أجل ألا يكون آلة للظلم. وقد ألقى به الخليفة أبو جعفر المنصور في السجن من أجل معاقبته، وحكم عليه بعقوبة الجلد.

وكان كل يوم يُزيد عدد مرات الجلد. أما سيدنا الإمام الأعظم ومع زيادة الألم الذي يقاسيه تحت السياط، يرسل الخبر إلى أصدقائه بقلقٍ قائلاً :

«ماذا تصنع أمي لو تعلم بحالي ذلك؟».

وقد قدّم أكثر الأمثلة دلالة لمحبة الأم من خلال قوله:

«يا تُرى لعل أمي العزيزة لا تسمع بحالي هذا. فهي لن تستطيع تحمل معاناتي المؤلمة هذه!.. وأنا أيضاً لن أستطيع تحمل حزنها أيضاً!».

ومحبة الأم لم تجعله يشعر بألم السوط عليه على الإطلاق.

وقد قدّم بهاء الدين نقشبند مثالاً مشخّصاً لاتساع حب الأم من خلال قوله:

«ليزور الذين يأتون لزيارة قبري قبر أمي أولاً!».

أما عبد الرحمن ملا جامع فقد قال:

«كيف لا أحب أمي وهي تحملني مدة في جسمها، ومدة أخرى على ذراعها، وفي قلبها طوال الحياة أيضاً!».



ما هي أهمية الأمهات في تربية النسل؟

إن معرفة كيف سيكون المستقبل الذي ينتظر أية أمة ليس بمعجزة. ومن أجل هذا فالنظر إلى الشباب يعد كاف. فشباب كل عصر يعيش في عالم مثيرٍ منفصلٍ يستطيع أن ينفق طاقته في أي شكل مناسبٍ لطبيعته. وتصبح هذه الحياة كأنها نبضُ جميع الأمة أيضاً. أي أن كل أمة تأخذ شكلاً طبقاً للعالم الحسي والفكري لشبابه. ولو أن الشباب في أي أمة يصرفون طاقاتهم في سبيل الخير والروح المعنوية والفضيلة، يكون مستقبل تلك الأمة رائعاً. وعلى العكس لو أن الشباب يضيّعون ويقصّرون طاقتهم وقوتهم على الأنانية أي القوة الغاشمة، تكون العاقبة الاندحار والهزيمة. إذاً تقع على الأمهات أعظم مهمة في تربية الشباب على أن يكونوا ذوي معنوية مرتفعة ممن سيحملون أممهم على عواتقهم بشرفٍ. لأن الأمهات هنّ اللاتي يربين النسل. فقد استمدّ أولياء الله والفاتحين أول استرشاداتهم من أم فاضلة.

وأجمل الأمثلة على هذا، السيدات الصحابيات. فقد علمن أولادهن التضحية بأرواحهم وأموالهم. وقد ملئن



قلوب أبنائهن بمحبة سيدنا رسول الله ﷺ. وهكذا فقد أثبتوا من جديدٍ بالعصور المزدهرة والآمنة التي شكَّلوها أن المجتمعات القوية تنتج عن أسر قوية. والأسر القوية هي أيضاً أثر سيداتٍ فاضلاتٍ تلَقَّين تعليماً روحانياً كثيراً أي تجاوزن حاجز النفس.

ما هو دور دروس القرآن الكريم في تعليم البنات؟ وإلى ماذا ينبغي الانتباه إليه في التربية والتعليم الذي سيُلقى في هذه الدروس؟

ينبغي أن تكون جميع المؤسسات وعلى وجه الخصوص دور تحفيظ القرآن الكريم التي تعطي التعليم المعنوي والروحي بيت شفقة وتضحية وخدمة. كما ومن الضروري أن تحتلّ الرحمةُ والعشق والعاطفة والخدمة مكاناً في داخل تلك الجدران أكثر من كومة المعلومات البحتة. لأن أي معلم عديم المشاعر لن يستطيع تلقين المحبة لطالبه، وأي مربٍّ لا يستطيع أن يُشعر القلوب الصغيرة والبريئة بعشقِ ووجدِ الإيمان، وأي مدرّس لا يستطيع أن يذيق حب وعمق القرآن الكريم، فهو تحت وطأة وبالٍ عظيم. لأن أي بيت مالٌ (المال المشترك



للدولة والأمة) وطلابه هم أمانة أيضاً لدى المؤسسة الموجودين بها. وإذا لم يتلقّ الطلبة التعليم المطلوب، يكون الحق على المكلف بذلك.

ومن الضروري في زماننا الذي أذعن فيه معظم البشر للمادية إظهار مدرسي القرآن الكريم على وجه الخصوص إهتماماً أكثر بطلابهم وينبغي على المعلم والمعلمين أن يملؤوا قلب الطالب أولاً بمحبة المدرّس، وأن يعلموا حقيقة "الألف" قبل أن يبدأوا في تعليم "الألف والباء". وينبغي أن يجلوا القلوب الصغيرة بالمتعة الروحية من خلال اقتباس الأنوار من محبة الله ورسول الله ﷺ. وينبغي عليهم أن يعكسوا في تلك القلوب النقية لطف ورفق الإسلام وجميع طيباته.

إن مساعي أي معلم يلعب دور القاضي تارةً والجلاد تارةً أخرى، ويسعى للسيطرة على الطلاب بأسلوبٍ مهيب، وأي غافل يقوم بتعليم القرآن الكريم وهو قاطبٌ الحاجبين، و أمثال هؤلاء ليست إلا خيبة وخسران.

ولا يوجد خطأ آخر يُسوِّد الحياة الروحية للإنسان أكثر من الإهمال الذي يُظهر تجاه القرآن الكريم.



ينبغي أن يسعى المعلمين والمحفِّظين المكلفين بالتعليم في هذه الدورات لأن يكونوا أناساً خادمين ناضجين. والإنسان الخادم الناضج هو شخصٌ يمتلئ قلبه بالفيض الروحي أي صاحب أمل، ومتحلٍّ بالميزات الأخلاقية مثل الرحمة والشفقة والعفة، معادٍ للحقد والكراهية. والإنسان الخادم أيضاً هو شخص يعيش في أي فئة كانت، ويستطيع أن يحافظ على وجوده وإيمانه. وحتى في أجواء الفتنة ينبغي أن يكون في حالٍ يؤثّر فيها بالطيبات على مَن حوله إلا أنه لن يتأثر بأي شكل من الأشكال من القبائح.

وباختصارٍ فأهل الخدمة الحقيقيين هم الأشخاص الذين يستطيعون أن ينأوا بقلوبهم بعيداً عن هواجس المال والتملك والمكانة والمنفعة على أي حال.

وقد ورد الآتي في إحدى الحكم:

«تصبح الدنيا جنة بثلاثة أشياء:

١. بالإنفاق باليد واللسان والقلب؛

٢. بعدم تعيير عباد الله والعفو عنهم؛

٣. بعدم مقابلة ظلم الظالم بالظلم واتخاذ الوسيلة لهدايته».



وقِيل في حكمةٍ أخرى، ثلاث فئات من الناس يدركون حقيقة أنفسهم، هم كالآتي:

- الذين لا يؤذون أحداً.
- أصحاب التواضع والخضوع الذين يستحيون من ذكر أسمائهم وصفاتهم.
- الذين ينظرون إلى الأمانة الإلهية والمخلوقات بعين الحق.

ثم إنك كيفما جعلت مناظر الورد والأزهار فإن أقسى وأعنف إنسان يتبسم لرؤيتها، ينبغي أن يكون قلب الشخص الذي سيصبح نموذجاً ومرشداً للناس على هذا النحو. ويجب أن ينشر الفرح والسرور على جميع المخلوقات، بحيث يلين حتى أقسى وأسوء قلب ويصحو تجاهه.

وينبغي أن تهدف دور القرآن الكريم لدينا إلى التربية أكثر من التعليم، وينبغي أن تكون بيتَ فضيلة. لأن الأمهات اللاتي سيملأن صفحات شرف المستقبل، سيصبحن محصّلة هذه المؤسسات فحسب. وعندما تتخرج بناتنا اللاتي يدرسن هنا ويواجهن مفاجآت



الحياة، ينبغي أن يكنّ قادراتٍ على إظهار طيبات الإسلام هناك.

وينبغي أن تُغطى دور القرآن الكريم بجو الفاطمتين الروحي.

يا سيدي، من تكونا الفاطمتين هاتين؟ هل تستطيعم الشرح بعض الشيء؟

إن فاطمة الأولى هي فاطمة التي أخبر الحق سبحانه وتعالى عن فضيلتها في بين الآيات ٨-١١ في سورة الإنسان.

مرض سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وهما طفلين. فنذر سيدنا علي ﵁ والسيدة فاطمة ﵂ أن يصوما ثلاثة أيام. وفي اليوم الأول عندما همَّا للإفطار إذ أتاهم مسكينٌ فوقف بالباب فقال:

«السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسلمين أطعموني أطعمكم الله ﷻ على موائد الجنة».

فأعطوه الطعام. ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقا إلاّ الماء، ونويا صيام اليوم الثاني. وعند وقت الإفطار في اليوم الثاني، إذ أتاهم يتيمٌ فوقف بالباب، وقال :



«السلام عليكم أهل بيت محمد، يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطعموني ».

فأعطوه الطعام. فمكثوا يومين لم يذوقا إلاّ الماء، ونويا صيام اليوم التالي.

فلما كان اليوم الثالث في نفس الوقت إذ أتاهم أسير فوقف بالباب، وقال :

«السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا أطعموني فإني أسير».

فأعطوه ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقا إلاّ الماء. فنزلت تلك الآيات من سورة الإنسان من أجل هذا:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا . إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا .فَوَقَاهُمُ الله شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (الإنسان، ٨-١٢).[٥٤]

٥٤ وحيدي، ص. ٤٧٠؛ الزمخشري، جـ ٦، ١٩١-١٩٢؛ الرازي، جـ ٣٠، ٢٤٤.



وثلاث أمور تلفت انتباهنا في هذه الآيات:

أولها: يمكن رحمة مخلوقات الله ﷻ والنظر إلى مخلوقات الله بعين الله ﷻ؛ ويمكن الدخول إلى قلب اليتيم والفقير والأسير. وفي هذا الأمر يقول سيدنا أبو بكر الورَّاق الآتي:

«من لا ينفق لا يأمل الجنة! من لا يحب الفقير لا يدعي أيضاً أنه يحب سيدنا رسول الله ﷺ أيضاً. كلاهما أيضاً كاذب!».

ثانيهم: يمكن القيام بالإنفاق من أجل رضا الله. وبناءً على هذا قال سيدنا علي والسيدة فاطمة:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

ونحن أيضاً لن ننتظر مقابلاً من العباد على أعمالنا التي عملناها، وسنفعل ذلك من أجل رضا الله فحسب.

ثالثهم: فهؤلاء البشر المكرمين والمثاليين يقولون:

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

بالإضافة إلى هذا يكون قلب أي مؤمن مملوء بخشية الله (مخافة الله ﷻ).



ومقابل إخلاصهم وخدمتهم هذه قال الحق ﷻ:

﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

والمثال الثاني الذي يعكس عالم القلب لفاطمة هذه أيضاً وهو على النحو الآتي:

بينما رسول الله ﷺ يصلي بالكعبة عند الركن اليماني، جاء أبو جهل. وعندما رآه بمفرده فرح وأرسل أحدهم فوراً وأحضر سلا جزور. وبينما رسول الله ساجدٌ وضع عليه سلا الجزور والتي تزن ما بين ٧٠-٨٠ كيلو جراماً. وكان العباس عم رسول الله هناك ولم يكن قد أسلم بعد. ولم يستطع أن يصدر صوتاً قط لأنه خاف من شدة المشركين.

وكانت تمرّ من هناك في تلك الأثناء السيدة فاطمة التي كانت في عمر التاسعة أو العاشرة تقريباً فجاءت تهرول. وبدأت تنظف تلك القاذورات من على سيدنا رسول الله ﷺ. وكانت الدموع تنهمر من عينيها.

و سيدنا رسول الله ﷺ يواسيها ويقول:

"لا تبكي يا ابنتي!..".[٥٥]

---

٥٥ انظر: البخاري، الصلاة ١٠٩، الجهاد ٩٨، الجزية ٢١؛ مسلم، الجهاد ١٠٧.

كانت السيدة فاطمة شجاعة وذات شهامة تجاه خوف الذي لم يفي حتى بعصبية القرابة. وكانت تفضِّل الله ورسوله عن كل شيء وتحبهما أكثر من كل شيء. ولهذا السبب أُطلق على السيدة فاطمة اسم «أم أبيها».

وعندما نأتي إلى فاطمة الثانية، فهي فاطمة التي منعت سيدنا عمر ﵁ بينما يذهب لارتكاب جريمة كبيرة قاصداً حياة سيدنا رسول الله ﷺ، والتي ساقته إلى الهداية. في ذلك اليوم قد قرأت القرآن الكريم بقلبٍ كهذا، حتى أذابت إنسان جاهليةٍ ذو قلبٍ قاسٍ ومتحجرٍ مثل عمر، وبدلاً منه جاء سيدنا عمر ﵁ الذيٍ صار قلبه مليئاً بالرحمة وعيناه تذرف الدمع وخاضعاً تجاه الحق.

ولهذا السبب فمن المهم جداً أن تتخذ بناتنا اللاتي ستُربَّيْن في دوراتنا للقرآن الكريم من هاتين الفاطمتين وأمثالهما نموذجاً يُحتذى. وينبغي على كل واحدة من بناتنا أن تكون عفيفة وكريمة مثلهن، وينبغي عليها أن تُؤدي عملها من أجل رضا الله ﷻ، وينبغي أن تقرأ القرآن الكريم أيضاً بعمق وفرحة قلبها، حتى تتجلى الأقدار العلوية المبتغاة وتمتلئ قلوبنا بالفيوضات والتأثيرات الإلهية.



وفي هذا الصدد يجب ألا ننسى أمّنا السيدة عائشة. لأنها كانت أذكى زوجات سيدنا رسول الله ﷺ. وكانت أحد السبعة المجتهدين من بين الصحابة الكرام. وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ في حقها:

"خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة".[56]

وبناءً على ذلك ينبغي على كل امرأة مسلمة أن تأخذ نصيباً من ذكاء وفراسة أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها التي حظيت بالمدح من طرف سيدنا رسول الله ﷺ، ومن عفتها التي نالتها بشهادة الحق سبحانه وتعالى.

وتضرّعنا هو؛ يا ربنا اجعل لجميع بناتنا نصيباً من الحياة القلبية لسيدتنا فاطمة رضي الله عنها، ومن ذكاء وفراسة وعفّة أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها، ومن ولاء وتضحية أمنا السيدة خديجة رضي الله عنها. آمين...

56 الديلمى، جـ ٢، ١٦٥/ ٢٨٢٨.



التأثيرات الإيمانية لوالدات السلاطين

في حضارة الوقف



علاوة على كون العثمانيين دولة عظيمة، فقد احتلوا في نفس الوقت مكاناً في صفحات التاريخ الذهبية بصفتهم حضارة وقف.

يا سيدي هل نستطيع أن نتحدث عن استمرار انتعاشة النماذج التي أعطيناها عن حياة الصحابة في العصور التالية أيضاً؟ وهل حياة الأسرة الجميلة والمشاعر القلبية التي عندهم عاشت في العصور التالية أيضاً؟

لا شك قط.

إن الإسلام هو دينٌ حركيٌ وليس ساكناً. و عليه فقد استمر وجود كل الطيبات الموجودة في الأيام الأولى في كل زمان في قلوب المؤمنين العاشقين والمخلصين أيضاً وإن تغيرت النسبة المئوية.

والفترة العثمانية على وجه الخصوص أيضاً من بين العصور التي بعد عصر السعادة، هي مثل عصر سعادةٍ ثانٍ. وحقيقةً فإن أجدادنا صاروا أيضاً في سباقٍ إيمانيٍ كاملٍ وعرفانٍ وإحسانٍ وخيرٍ سواءً من ناحية



أمن وسعادة الأسرة أو من ناحية تكوين قلب المجتمع.
وأكثر الشواهد الحية للحقيقة التي ذكرناها في هذه النقطة الثراءات المادية والمعنوية والميراثات الثقافية التي ليس لها مثيلٌ، والتي بقيت لنا منهم.

ومن ناحيةٍ أخرى قد احتلّ العثمانيون في ساحة التاريخ بصفتهم حضارة وقفٍ أكثر من كونهم دولة عظيمة؛ ونتيجة لهذا تتوّجتهم جميع الدنيا على الرأس وهكذا استمروا عمراً طويلاً.

وتوجد آثارٌ أيضاً لوالدات السلاطين والسيدات من وجهاء القصر في داخل التحف المعمارية التي أُنشئت في الدولة العثمانية التي صارت حضارة وقف. هل يمكنكم إعطاء بعض المعلومات في هذا الموضوع أيضاً؟

من المهم جداً أنه تمّ تأسيس ستة وعشرين ألفاً وثلاثمائة وقفٍ، والتي أمكن إثبات أنها أُسست في الفترة العثمانية من طرف النساء بما يُقدر بألفٍ وأربعمائةِ سيدة.



ومن هؤلاء والدة السلطان «نور بانو»[57]، التي قد أنشأت العديد من الآثار على ساحل الأناضول والروملي في اسطنبول. وإن جامع الوالدة العتيق الموجود في «طوب طاشي» في «اُسْكُودار» ومبرّته ومدرسته ومستشفاه وحمامه المزدوج هى من التحف والخدمات الخالدة التي وصلت إلينا من عالم قلبها.

وهكذا فإن إحدى هذه السيدات أيضاً هي والدة السلطان «ماه بيكر كوسام». فقد وضعت أساس

٥٧ إن اللقب الرسمي للنساء المنتسبين للأسرة الحاكمة العثمانية هو سلطان أفندي. وهذا يعني أن الأب منتسب إلى الأسرة الحاكمة أي الأمير أو السلطان. وهكذا فلو تتزوج أي إمرأة برجل لا ينتسب إلى الأسرة الحاكمة، فيُطلق هكذا على أطفالهم الإناث «هانم سلطان» أما أطفالهم الذكور فيطلق عليهم «بك زاده» و«سلطان زاده» نسبة إلى أمهاتهم . وفي حالة أن من هم يلقبون بلقب بك زاده أو سلطان زاده تزوجوا بشخصٍ لا ينتسب إلى الأسرة الحاكمة لا يعتبر أطفالهم منتسبين إلى الأسرة الحاكمة.
ومن ناحية أخرى إذا كانت النساء اللاتي أولادهن صاروا سلاطين ليسوا منتسبين إلى الأسرة الحاكمة تكون ألقابهم من ناحية التعبير الرسمي في أغلب الأمر هكذا هو «والدة سلطان». أما زوجات السلاطين فيلقبن باسم «قادين أفندي» وإذا كن أكثر من واحدة فيلقبن بصفاتٍ مثل الأولى والثانية.



الجامع الجديد، وقد أنشأت جامع «تشيني لي» في «أسكودار» وإلى جانبه أيضاً مدرسة وعينُ ماءٍ ودارٌ للحديث وحمامٌ مزدوج وسبيلٌ، وبالإضافة إلى هذا أنشأت الجامع الموجود في " قاواغي " في الأناضول. ومشهور أيضاً الوقف الذي أسسته من أجل تزويج البنات اليتيمات والفقيرات. ويوجد لها أعمال خير كثيرة غير ما ذُكر. ومما يلفت الانتباة كثيراً أنه على الرغم من أن «كوسام سلطان» عُرفت بطبيعتها الشديدة والقاسية فيما بين والدات السلاطين إلا أنها كانت شخصيةً قمّة في أمر الشفقة والرحمة على الضعفاء بسعيها في تأسيس الوقف.

وعلى الرغم من أن «كوسام سلطان» وضعت أساسه، فقد قُدر ل «خديجة طورخان سلطان» شرف افتتاحه للعبادة من خلال إكمال الجامع الجديد الذي لم يكتمل نصفه لأن العمر لم يسعف «خديجة سلطان» لإنهائه.

وإلى جانب هذا يوجد أيضاً أعمال خير مثل كُتّاب ومدرسة ومبرة ومكتبة وعين ماء. بالإضافة إلى هذا ثمة أمر يشد الانتباه في وقفية الجامع الجديد وهو صبّ شراب العسل من بعض العيون في ليالي الحفلات

الدينية ورمضان والإحسان إلى الجماعة التي تخرج من الصلاة. وقد سُجل بالوقفية كذلك جودة العسل وقد أُحضر أجود عسلٍ في ذلك الوقت من بلدة «أتينا» في«ريزا» والتي تم تغيير اسمها اليوم باسم «بازار».

وقد اشتُرِطَ شرطاً في الوقفية وهو استخدام هذا العسل دائماً، وإن غلا ثمنه بأي قدر وعدم استخدام عسل آخر، وهذا هو أيضاً مثال نموذجي يُظهر درجة الكيفية والشعور الموجودة في عمل الخير.

وقد تركت هذه السيدة مصادر إيراد غنية جداً من أجل استمرار أوقافها، كما وظّفت مائة وستة عشر موظفاً براتب من أجل إدارة هذه الأوقاف.

وقد أنشأت والدة السلطان «برتو نيال» جامع الوالدة الموجود في «آق سراي» في استانبول ومسجد «يا ودود» أيضا، بالإضافة إلى هذا أوقفت عليهما من خلال إنشاء مكتبة وعين ماء وكتَّاب.

أما «مهر ماه سلطان» التي أنشأت «جامع الصلاة» في كل من «أدرنة قابي» و«أسكودار» فبالرغم من آثار الوقف العظيمة التي أسستها، فقد كانت شخصية ذات



تواضعٍ وخضوع لأقصى درجة. ويُعبر عن هذا المثال التالي بصورة جميلة جداً، فقد أُحضر ماء مكة وعرفات حتى هناك من جانب بغداد وذلك من طرف زبيدة هانم زوجة هارون الرشيد. لكن كان يُقال أن مجاري المياه هذه في عصر القانوني قد تعطّلت مع الوقت، وأن العيون نضبت منها المياه فلم تعد بالمقدار الكافي. وقد خرجت «مهرماه سلطان» التي علمت بهذا إلى مجلس أبيها القانوني والتمست أن يتم تعمير مجاري المياه القديمة هذه من طرف رئيس المعماريين سنان، وأن يتم إظهار غاية السعي في بقاء هذه الخدمة سراً وقد خصصت جميع زينتها ومجوهراتها التي تملكها بهذا المقصد.

وبعد أن وضع المعماري سنان أساسات جامع السليمانية، قد غاب عن الساحة مدة، حتى أن سبب هذا كان غير معروف تماماً ووفقاً لما يتردد يُقال أنه غاب عمداً من أجل وضع أساسات الجامع. في حين أن سبب هذا كان هو إصلاح قنوات المياه المعلومة التي تُسمى «عين زبيدة» وطلبُ «مهرماه سلطان» التي هي صاحبة هذا العمل الخيري بأن تظل خدمتها وسعيها سراً.



وتُعد والدة السلطان «بزمي عالم» أحد أشهر والدات السلاطين من ناحية عمل الخير حيث أنشأت خدمات الخير الكثيرة جداً والتي قدمت الخدمة على مدى العصور، وصارت جزءً من التاريخ. ويُعد جامع الوالدة الموجود بجوار قصر «دولمه باهتشه» من أعظم الجوامع التي أنشأتها. وجسر «غالطه» المشهور هو وقفها أيضاً.

والمهم جداً أيضاً وقفٌ أسسته والدة السلطان بدمشق. وشرط الوقف هو:

- إيصال المياه العذبة الموجودة في دمشق إلى الحجاج.
- أن يتم تعويض الأشياء التي كسرها الخدَّام أو أفسدوها حتى لا يُجرح شرفهم وشخصيتهم.

وتُعد مستشفى غرباء المسلمين التي أنشأتها والدة السلطان «بزمي عالم» التي امتدت يدها بعمل الخير إلى كثير من أقاصي الأرض من خلال وقفِ مبلغ كبير من ثروتها الشخصية أحد أعظم خدماتها. وقد افتتح هذا الأثر العظيم للخدمة في سنة ١٨٤٣م مع الجامع وعين الماء، ومنذ ذلك اليوم وهي تنشر الشفاء على فقراء أمة محمد ﷺ.



وقد أعطى هؤلاء أهمية من الدرجة الأولى في أعمال الخير والحسنات لأمر تأمين المياه، وقد زودوا اسطنبول مثل مكة وعرفات أيضاً بماء الوقف وعيونها. ومن أجل هذا أسسوا مجاري المياه التي ما تزال قائمة حتى الآن، كما وأوصلوا مياه كثيرة بدرجة ستكفي احتياجات اسطنبول دائماً من خلال إصلاح قنوات المياه.

إن الأوقاف التي أسسها أجدادنا المباركين بإخلاص، قد تأسست بالدعاء والتمني لاستمرار نشاطاتها حتى يوم القيامة. وهذه الأوقاف مثل الجامع والمدرسة والمستشفى والمهجع والسبيل تسدّ احتياجات بشرنا الموجودين اليوم وفي الغد، وقد استمرت خدمات الكثير منها حتى الآن. وهؤلاء هم شعار الإيمان والعراقة لأجدادنا المباركين وصدقةٌ جارية لكل منهم ستسعد أرواحهم المعززة.

ليقدِّر الحق ﷻ إمكانية استمرار خدمات هذا القلب، والتي أنشأها أجدادنا، وإعادة إمكانية تنشئة جيل عفيف ومحب للخير وفاضل وصاحب كرم مثلهم! ولينعم بتأسيس بيوت أسر آمنة متحفزة وجديرة بقوام هذا النصيب!...آمين!..



إن حياة الأسرة التي بدأت بخلق الإنسان هي من غير شك المرآة الحصرية التي ستوضح النتيجة التي سنصل إليها في سفرنا الأبدي. لأن الأسرة هي بيئة أول مدرسة وأول محبة وأول مشاطرةٍ وأول سعادةٍ وأول جنة هذّبت مشاعرالإنسان وإرادته أي عقله وقلبه أيضاً في الدنيا التي صارت حقلاً لآخرته من ناحيةٍ أخرى.

وبسبب هذا ينبغي أن يصل هذا العش المبارك إلى هويته الأصيلة من كل ناحية، ومن الضروري أن يصبح محيطاً أكثر احتراماً لعمرنا.

ولا بدّ أن يكون لكل تلك القهوات والطيبات المتناولة في البيت خاطرٌ، في الوقت الذي تعدّ فيه قهوةٌ بسيطة متناولة في العالم الخارجي لها خاطر لأربعين سنة.[٥٨]

٥٨ مثل تركي: «للقهوة المشروبة خاطر لأربعين سنة».



وينبغي ألا يسبب التواجد معاً في كثير من الشؤون والتي تحيط بالعمر، الملل في الحياة المنزلية، وألا تحط من قدر وقيمة بعضنا البعض، وعلى النقيض ينبغي أن تصبح الآثار التذكارية التي تتجمل وتزداد قيمتها كلما مرت عليها السنين قيّمةً في حالة مثالية ورائعة.

ومن أجل هذا ينبغي أن نُعيد النظر مرة أخرى في عش أسرتنا. ذلك العش المقدس هو ليس فندقاً ولا ميدان صراع للغفلة أيضاً.

بل إنه حديقة القلب حيث تُقطَف هناك ثمار العشق المتحفّز والمودة والتقاسم والخدمة لرضا الحق ﷻ.

ولو أن ورود وأزهار الزنبق وبلابل هذه الحديقة في جوّ الربيع فمن المحتمل أن يكون قدرنا في يوم القيامة هو جمال الربيع أيضاً.

أي أن عش الأسرة باختصار؛ ليس حياة ستشكل سبباً في هروب الأم والأب والأطفال من بعضهم البعض في خضمّ هول وفزع يوم الحشر، بل ينبغي أن يكون مكاناً لجمال حياة ستجعلهم يحتضنون بعضهم البعض بشوقٍ وودّ هناك.



وعلى الإنسان أن ينتبه من الآن، فإن أفراد الأسرة عليهم في الدنيا أن يعيشوا على نحوٍ لا ينفر ويفر أحدهم من الآخر، وأن يؤسسوا حياةً تجعل جميع الأفراد شافعين ومخلصين من أجل بعضهم البعض!...

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ:

"كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون، وكما تبعثون تحشرون".[59]

وما أجمل ما يعبر به الشاعر محمد علي أشملي عن قيمة وجمال وضرورة عُش الأسرة الموجود في اتساق كهذا:

الأسرة الآمنة، قصر الجنة، وصفاء الروح،

يرتقي هذا البناء فوق دعائم القلب...

إلا أن جميع أوتاره مرتبطة بالحلال،

تنهار الدنيا وتهتز في اللحظة التي تختلط فيها بالحرام!...

التسامح المتبادل هو حزامها وجدرانها،

لكن أساساتها تمحو أي سوء ظن!..

---

٥٩ المناوي، فيض القدير، جـ٥، ٦٦٣؛ السيرة الحلبية، جـ١/ ٢٧٢.

وجمالها الصبر على كل ألمٍ في بيت الروح

ولو أن القلب خلية عسل فالحزن والبلاء يصنع العسل!..

ومكان أزهار الحياة هو القلب السليم،

والمحبة الطاهرة تدعو الحب الكبير!..

ويكمل نصف الدين بالحبيب، هذا هو الحكم

لعل المولى لا ينتزع الباقي من النصف الآخر!..

هذا هو، هذا هو جسرٌ من ليلى إلى المولى العظيم،

وهكذا وهب الله العشق للإنسان في الأزل...

ولو لم يكن هذا الجسر لتصدّع كل قلب في الغربة،

فاحذر أيها المسافر ألّا يهدم الجهلاء هذا الجسر!

ولا يفورنّ اللسان على كل شيء في هذا الجسر

فالغضب الشديد أسوء زلزالٍ وضرره جفاء للقلب!...

لا تسأل عبوس الوجه وسيئ الخلق عن الطريق،

يا صاحب الوجه الجميل هذا الملاك يطلب ابتسامة!..



إنه جسرٌ مثل الصراط العظيم حيث النار للجاحد،

لكن طوبى للوفي في طريق الجنة!..

من أجل هذا فأمنا خديجة قدوة لنا،

ومن أجل هذا فالتقوى المحمدية نموذج لنا...

العش الميمون مقدسٌ جداً في كل عصر،

وهذه أعظم دعوة أخيراً لـ «سايري» من أجل ذلك العصر!...[٦٠]

وفي ذلك اليوم الذي سيتم التمسك فيه بهذه الروح والمعايير وتأسيس الترابط في الأسرة، سيصبح ذلك العش وسيلة انتعاش لكثير من الطيبات والأمن والعظمة من جديد بالمجتمع أيضاً حول العالم بالإضافة إلى جانب كونه مغنَماً أبدياً ومناخاً روحانياً حول الآخرة.

ياربنا أنعم علينا ببيوت أسر كهذه! واجمع هذه الأمة العزيزة وشبابنا بالإيمان والحكمة والعشق والمحبة

٦٠ سوء الظن: الظن السيئ، الشك. الجهلاء: الجهلة، السفهاء، الحمقى. السيماء: الوجه، المحيا. النار: الجحيم، جهنم. طوبى: شجرة الجنة جذورها في الأعلى وأغصانها في الأسفل.



والإيثار والتضحية والخدمة، وبالتالي بمشاعر السعادة الأبدية في تلك الجنة وطننا!.. وأنعم علينا من جديدٍ بالفاتحين من أمثال محمد الفاتح وسليم الأول من بيوت الأسرة الآمنة التي يتم تأسيسها بهذه الطريقة!

آمين!...



فهرس



